المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

مقرر الدلائل والشمائل النبوية

المستوى السابع

ترتيب وتنسيق ما ألقاه علينا الشيخ عبد المجيد العمري حفظه الله

العام الجامعي ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الدلائل في اللغة: جمع دليل وهو ما يوصل إلى المطلوب.

وأيضا تأتي لجمع دَلالة أو دِلالة وهو الأمارة (علامة على الشيء).

وفي الاصطلاح: البراهين الدالة على صدق نبينا محمد ﷺ فهذه أمور أكرم الله به نبينا ﷺ، ويسميه بعض العلماء آيات النبوة، أو معالم، وقد يوسع بعضهم فيسميها المعجزات.

– وهذه الدلالة منها أمور متعلقة بإخبار المغيبات إما ماضية للأمم السابقة وإما لاحقة كأشراط الساعة، وكذلك أمور مبشرات، أو أمور خوارق العادات.

الشمائل في اللغة: جمع شِمال بالكسرة وهو الخلق والطبع، وقيل جمع شميلة وهي طبيعة حميدة.

وفي الاصطلاح: صفاته ﷺ الخَلقية والخُلقية وآدابه وهديه، ويدخل أيضا ما كان يستعمله إما من سلاح أو مركب أو مأكل.

الخصائص في اللغة: جمع خصيصة، وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده.

وفي الاصطلاح: هي الفضائل والأحكام التي انفرد بها النبي ﷺ عن إخوانه من الأنبياء أو عن سائر أمته.

– عن سائر أمته مثل: زيادة الزوجات على أربعة.

– عن إخوانه من الأنبياء مثل: المقام المحمود، كونه خاتم النبيين، واختص عن الأنبياء كذلك بذكر خصائص الدجال.

س/ ما الفرق بين دلائل النبي ﷺ وشمائله وخصائصه؟

دلائله هي البراهين التي تدل على صدقه، وأما شمائله فهي صفاته، وأما خصائصه فهي أحكام وفضائل تفرد به ﷺ.

وهناك من الشمائل ما هو من دلائل النبوة فمثلا: أن النبي ﷺ عُرف بالصدق وهذا من خُلُقه وكذلك هذا مما يدخل في دلائل نبوته فلقد عرف ﷺ بالصدق من قَبل نبوته.

وهناك من الشمائل ما هو من خصائصه كذلك.

ثمرات معرفة الدلائل والشمائل والخصائص:

- أعظم ثمرة هي الإيمان به ﷺ: فإن من موجبات الإيمان به معرفة أوصافه وأخلاقه وخصائصه، فمن عرف هذا لا يشك في صدقه وصدق ما جاء به.
- الاقتداء به: فالله سبحانه جعل نبيه قدوة للناس {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، يقول سفيان الثوري رحمه الله: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزانُ الأكبر، فعليه تعرضُ الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل).
- هي من أعظم الأمور التي تثبت على الدين وتزيد الإيمان: وكذا توجب الإيمان في حق من لم يؤمنوا به من الكفار.
- كثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ: يقول ابن القيم رحمه الله: (ولهذا كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه، خلاف صلاة العوام عليه، الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم، وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به، فصلاتهم عليه نوع آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة، ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله) وقصده رحمه الله أن صلاة أهل العلم أكمل من العوام حال استشعاره مكانته ﷺ.
- توقير الصحابة رضي الله عنهم ومعرفة فضلهم: فهم قد رأوا النبي ﷺ رأي العين.
- إقامة الحجة على المخالفين ودعوتهم إلى دين الإسلام.

مظان الشمائل والدلائل والخصائص:

١. كتاب الله، مثل قول الله تعالى: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}.

٢. كتب الحديث المسندة: فهي مليئة بذكر شمائله ودلائله وخصائصه ﷺ.

٣. كتب العقيدة: لاسيما ما يتعلق بدلائل النبوة.

٤. كتب الفقه: مثل كتاب النكاح في ذكر خصائص النبي ﷺ، وأول من صنع هذا الإمام الشافعي رحمه الله، وكذلك المالكية يذكرون في أواخر كتبهم كتاب جامع وهو في الأدب، والتي كلها مبنية على هدي النبي ﷺ وشمائله.

٥. كتب التاريخ والسيرة: مثل كتب المغازي كمغازي ابن إسحاق، ومغازي موسى بن عقبة.

٦. الكتب المفردة في هذا العلم: مثل شمائل النبوة للترمذي، ودلائل النبوة لأبي نعيم، غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن.

كتب الشمائل:

المقصود بكتب الشمائل: هي الكتب التي تعتني ببيان أوصاف النبي ﷺ وأحواله.

نشأة التأليف فيه كعلم مستقل:

علم السنة وقع خلاف في كتابته في عهد النبي ﷺ وقد استقر الأمر في كتابته، وقد كتب جمع من الصحابة صحائف، وهذا كان على وجه عام من غير تبويب أو ترتيب.

ثم انتقل الأمر إلى الجمع الكامل للسنة في عهد الزهري بعصر عمر بن عبد العزيز عندما أمره بجمع الحديث.

ثم انتقل الأمر إلى التبويب والتصنيف، تقريبا في القرن الثالث، وكانت مثل هذا التصنيف متداخلة مع العلوم الأخرى كغيره من التصانيف.

ثم بعد ذلك ظهر التصنيف فيما يتعلق بشمائل النبي ﷺ وصفاته، **ولعل أول من أفرد هذا العلم بالتصنيف وهب بن وهب الأسدي (صفة النبي ﷺ)** وقد توفي على رأس المئتين، وهذا الكتاب مفقود، وقد ذكره أصحاب الفهارس.

ثم جاء بعده أبو الحسن علي بن محمد المتوفى سنة ٢٢٤هـ (صفة النبي ﷺ)، وكذلك كتاب لمحمد بن عبد الله (أخلاق النبي ﷺ) وهذه الكتب أغلبها تدور في فلك صفات النبي التي هي نوع من شمائله.

وكذلك من المؤلفات كتاب شمائل النبوة لأبو بكر القفال الشاشي (ت ٣٦٥هـ)، (مطبوع)، وكتاب أخلاق النبوة وآدابه للأصبهاني (ت ٣٦٩هـ) (مطبوع).

– ومن أشهر من صنف في كتب الشمائل الإمام أبو عيسى الترمذي (شمائل النبي ﷺ، والتي عرفت بالشمائل المحمدية)

وبعدها كثر المؤلفات في شمائل النبي ﷺ جدا، مثل: كتاب الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي (ت ٥١٠هـ)، وكذلك الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) وغيره.

الكلام على أهم كتب الشمائل بالتفصيل:

١) الشمائل المحمدية للإمام أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٦هـ):

من أشهر الكتب المصنفة في شمائل النبي ﷺ، ومن أعظم كتاب ومن أقدمها، وهو كتاب مسند، وقد رتبه على الكتب والأبواب، وكثير من أحاديثه ثابتة، وقليل منها فقط غير ثابتة.

ولم يشترط الترمذي رحمه الله الصحة في كتابه، وأحاديثه ٤٠٢ حديث، وكل أحاديثه متعلقة بشمائله ﷺ.

وقد بدأ أولا ببيان صفة النبي ﷺ العامة، ثم بدأ ببيان ما يدل على صدقه وأنه ﷺ خاتم النبيين، ثم بدأ برأس النبي ﷺ تدريجيا من الأعلى إلى الأسفل، إلى أن وصل إلى خفه ونعله، ثم ذكر الآلات، ثم أكله وشربه وتعطره، ثم نومه وخلقه إلى أن ختم بوفاته ﷺ وما جاء في رؤيته في النوم.

أما عناية العلماء بهذا الكتاب فكثيرة جدا:

ففي الشرح: جمع الوسائل في شرح الشمائل للملا علي القاري، وشرح الشمائل لعبد الرؤوف المناوي.

- ومما ينبغي التنبه إليه أن أغلب شروحات الشمائل فيها شيء من الخلل العقدي.

ولعل من أنفع الشروح المعاصرة التي سلمت من هذه الملاحظات شرح الشيخ عبد الرزاق البدر.

ومن مختصراته:

- مختصر للشيخ الألباني، وهو الأشهر، حذف أسانيده وحكم على أحاديثه.

- وكذلك من المختصرات المعاصرة: مختصر على مختصر الشيخ الألباني (صحيح مختصر الشمائل) للشيخ أنيس بن طاهر، استخرج الأحاديث الصحيحة فيها فقط وهو جزء لطيف مطبوع.

ومن أحسن طبعات الشمائل المحمدية:

طبعة دار الغرب الإسلامي بتحقيق الدكتور ماهر ياسين فحل.

٢) أخلاق النبي ﷺ وآدابه للحفاظ أبي الشيخ عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت٣٦٩هـ).

كتاب مسند، وامتازت أسانيده بالعلو، وقد قصد رحمه الله في كتابه هذا جمع الأحاديث الدالة على أخلاق النبي ﷺ، وآدابه.

ولم يذكر في الكتاب ما يتعلق بصفة النبي ﷺ الخَلقية، وقد ذكر فيه ٢٨٤ بابا، وعدد الأحاديث والآثار تقريبا ٩٠٠ حديث وبالتحديد ٨٩٩.

ويعاب على الكتاب كثرة الأحاديث الواهمة بل الموضوعة، وكثرة الرواية عن الضعفاء والمتروكين.

من أشهر وأحسن الطبعات:

طبعة الدكتور صالح محمد المنيان، رسالة دكتوراة، طبعت في ٤ مجلدات، عن دار مسلم.

مختصراته:

اختصره وهذبه الحافظ أبو بكر محمد بن وليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ) في كتبا سماه (أخلاق لنبي ﷺ)، وهو مطبوع، وقد حذف منه الأسانيد.

- ويلاحظ أن غالب الأبواب في الكتاب متعلقة بالآداب وهي متعلقة بالشمائل.

- وكذلك يبوّب على الآداب حتى ولو لم يثبت فيها حديث عن النبي ﷺ، مثل تكلمه بالفارسية، فالنبي ﷺ لم يتكلم إلا العربية.

٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ).

ليس مختصا بالشمائل فقط، بل هذا أوسع كتاب ألف في ذكر حقوق النبي ﷺ، وقد أورد فيه شمائل النبي، ودلائل نبوته، وخصائصه، فذكر في الشمائل ضمنا.

حتى أن بعض أهل العلم يفرده في التصنيف فيجعلونه في قسم مستقل ليس في الشمائل أو الدلائل أو الخصائص، وإنما يجعلونه في كتب الحقوق، أو في الكتب الجامعة بين أكثر من نوع.

والكتاب ليست من الكتب المسندة.

وقد قسم كتابه إلى ٤ أقسام:

القسم الأول/ في تعظيم قدر النبي ﷺ، وذكر فيه ٤ أبواب متعلقة بالدلائل، والشمائل، وكذلك الخصائص.

وقد سمى القسم الأول (في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ﷺ المصطفى قولا وفعلا)

الباب الأول: في ثناء الله تعالى عليه وإظهار عظيم قدره. (ثم ذكر فيه ١٠ فصول، وهذا فيه شيء متعلق بالشمائل).

الباب الثاني: في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا. (وهذا أيضا متعلق بالشمائل) وغالب الشمائل في هذا الباب.

الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم. (وهذا فيه شيء من دلائل النبي ﷺ وخصائصه).

الباب الرابع: ففيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات. (وهذا في دلائل نبوته ﷺ).

القسم الثاني/ ذكر فيه (ما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم) وذكر فيه ٤ أبواب، وهذا القسم متعلق بحق النبي ﷺ، وهو أوسع من تكلم في هذا الباب.

الباب الأول: في فرض الإيمان به ووجوب طاعته وأتباع سنته.

الباب الثاني: في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم.

الباب الثالث: في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره.

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته.

القسم الثالث/ فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه، أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية.

الباب الأول: فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم.

الباب الثاني: فيما يخصهم في الأمور الدنيوية وما يطرأ عليهم من العوارض البشرية.

فالنبي ﷺ معصوم في التبليغ والنبوة والرسالة والشرك والكذب والكبائر، أما الصغائر فأهل العلم اختلفوا فيها والمشهور عند أكثر العلماء أنه ﷺ ليس معصوما من الصغائر، لكنها لا تسمى ذنبا في حقه ﷺ وإنما فعله من باب الاجتهاد، والوحي يعصمه فينزل الوحي بمعاتبة النبي ﷺ وبيان الصواب فيها، ثم إن الله عز وجل جعلها من باب رفعة درجة النبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا.

أما ما يتعلق بالأمور الدنيوية البحتة فالنبي ﷺ ليس معصوما مثل: قصة تأبير النخل، وفي نزوله يوم بدر على الماء.

وهذه الأمور قليلة جدا، وهي ليست راجعة إلى عقله، فالنبي ﷺ أوتي كمال الذهن ووفرة العقل، وإنما هي أمور دنيوية بحتة، وهي كذلك قليلة جدا.

القسم الرابع/ في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه الصلاة والسلام.

الباب الأول: في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب أو نقص من تعريض أو نص.

الباب الثاني: في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته.

الباب الثالث: في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه.

من أشهر شروحات الشفا: (وغالبها للمتأخرين):

- شرح الشفا لملا علي قاري (ت ١٠١٤هـ)، وهو مطبوع.

- نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض لشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، وهو مطبوع.

من الكتب التي اعتنت كذلك بالشفا:

المدخل إلى كتاب الشفاء لمحمد عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢)، ذكر فيه ما يتعلق بالشفا، وتعريف القاضي عياض، والجهود حول كتابه من شروح ومختصرات، وهو مطبوع.

مختصرات الشفا:

- المنتقى من كتاب الشفا، لمركز المربي، قام به مجموعة من الباحثين.

- مختصر الشفا، للدكتور أحمد المزيد، وهو ضمن موسوعة محمد رسول الله ﷺ.

من أشهر طبعات الشفا:

- طبع بتحقيق علي البجاوي في مجلدين.

- وطبع أيضا بتحقيق عبده علي كوشك بمجلد ضخم.

ما انتقد على الكتاب:

١/ كثرة الأحاديث والحكايات الواهية.

٢/ وقوعه في تأويلات مستغربة.

وكذلك شروحه لم تسلم من هذه الأمور بل هي أشد، لا سيما عند المتأخرين الذين لديهم بعض النزعات الصوفية.

وهذا الكتاب مع وقوع الأخطاء فيه إلا أنه أصل في بابه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومثل القاضي عياض بن موسى البستي مع علمه وفضله ودينه أنكر العلماء عليه كثيرا مما ذكره في شفائه من الأحاديث والتفاسير التي يعلمون أنها من الموضوعات والمناكير مع أنه قد أحسن فيه وأجاد بما فيه من تعريف حقوق خير العباد وفيه من الأحاديث الصحيحة والحسان ما يفرح به كل من عنده إيمان".

وقال: "وكل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه فإذا قال القاضي عياض ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه وإذا لم يذكره من أين نقله لم نتهمه ولكن نتهم من فوقه وقد رأيناه ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها لكن ما فوقه لا يجوز الاعتماد عليهم".

ويقول الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: "قلت: تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب " الشفا " لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده، وينفع ب " شفائه "، وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات".

كتب الدلائل:

المقصود بكتب الدلائل: هي الكتب التي تعنى بالآيات والبراهين الدالة على صدقه ﷺ.

نشأة التأليف فيها:

ولعل من أقدم الكتب التي ذُكرت هي رسالة الشافعي رحمه الله ولكنه لم يثبت.

وأقدم ما وصلتنا من هذه الكتب هو: كتاب دلائل النبوة للحافظ أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)، وقد طبع بتحقيق الدكتور عامر حسن الصبري، وهو كتاب صغير مسند فيه ٥٣ حديثا.

من الكتب المؤلفة في الدلائل:

١. دلائل النبوة لأبي القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ).

٢. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) وهو من أشهر كتب الدلائل.

٣. دلائل النبوة لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري (ت٤٣٢هـ) (الموجود منه طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور أحمد السلوم، بدار النوادر).

٤. دلائل النبوة لأبي ذر الهروي (ت٤٣٤هـ).

٥. أجمع الكتب وأشهرها، دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي (ت٤٥٨هـ).

٦. دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، وهو مطبوع.

والملاحظ أن غالب الكتب ألفت في عصر واحد، وأكثرها في القرن الرابع، وغالبها تسمى بالدلائل.

الكلام على أهم كتب الدلائل بالتفصيل:

١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ). (وهو من أشهر كتب الدلائل).

كتاب مسند، ذكر فيه ٣٥ فصلا، وتحت كل فصل أبوابا.

وسبب تأليفه: إجابة لبعض تلاميذه، وقدم للكتاب بمقدمة نافعة متعلقة بالنبوة ومسائلها.

وله مزية مهمة أنه في نهاية كل فصل، أو تحت كل باب، أو مجموعة أحاديث يعلق بتعليق مطول يذكر فيه خلاصة ومعاني الأحاديث التي ذكرها.

وقد طبع الكتاب قديما لكن المطبوع الذي بين أيدينا هو المنتقى من دلائل النبوة وهي تعادل ثلث الكتاب.

وقد حقق الكتاب كاملا في ٨ رسائل علمية دكتوراة بجامعة أم القرى.

٢) دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي (ت٤٥٨هـ).

من أشهر وأوسع وأجمع الكتب في هذا الباب.

واسم الكتاب: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. (فالعنوان أخص من الموضوع)

لم يورد فيه الدلائل فقط، بل جمع فيه ما يتعلق بسيرة النبي ﷺ.

- وهو مرتب على الوقائع التاريخية المتعلقة بسيرة النبي ﷺ.

فبعض الأحداث من السيرة فيه دلالة على نبوته ﷺ.

وكذلك هذه الوقائع والأحداث لا تحصل بمجموعها لبشر بل هي تدل على أنه نبي، ولذلك كان مفهوم البيهقي رحمه الله للدلائل أوسع من غيره.

ولذلك يعد كتاب دلائل النبوة مصدر من مصادر السيرة النبوية المسندة.

- وقد بدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها طريقته في روايته للأخبار، وأنه اعتمد على الصحيح دون غيره، أو على ما قبل من أخبار، أو على المعروف عند أهل المغازي، وقد ذكر أن هذه هي طريقته في مصنفاته، وقد اشترط على نفسه ألا يخرج الموضوعات، ولكن بعض المرويات قد حكم عليها أهل العلم بالوضع وهي معدودة وقليلة جدا، ولا تصل عند البيهقي إلى حد الوضع لهذا أورده في كتابه.

- من منهجه في كتابه أنه رتبه على أبواب كتب المغازي والسير، فيسرد فيه الوقائع والأحداث وفق التسلسل الزمني، وغالب ترتيبه على ترتيب محمد بن إسحاق.

- وقد يذكر غزوة ومروياته ويركز على الدلائل التي تدل على نبوته ﷺ.

- وقد أفرد البيهقي رسالة جعلها مدخل إلى دلائل النبوة وهي مطبوعة وقد سماها "المدخل إلى دلائل النبوة".

والكتاب مطبوع ب ٧ مجلدات بتحقيق عبد المعطي قلعجي، وليس له إلا هذه الطبعة، وقد طبع قديما.

وحقق ب ٣ رسائل علمية بجامعة أم القرى.

كتب الخصائص:

المقصود به: هي الكتب التي تعنى بذكر ما اختص به النبي ﷺ من أحكام وفضائل.

وخصائصه ﷺ على قسمين: ١/ ما اختص به عن بقية أمته. ٢/ ما اختص به عن سائر الأنبياء السابقين.

والتصنيف في الخصائص كان مبثوثا في الكتب وكان الفقهاء يعتني به كثيرا، وأشهر من أدخله في كتب الفقه وهو الإمام الشافعي، والفقهاء دائما يذكرونه في كتب النكاح عند ذكر التعدّد لاسيما فقهاء الشافعية.

وأول من صنف في الخصائص فلعل أقدم الكتب المصنفة فيه كتاب ابن الجوزي المسمى "در الثمين في خصائص النبي الأمين" وهذا الكتاب مفقود، وقد تبعه بعد ذلك ابن دحية الكلبي وكتابه مطبوع في جزء لطيف.

وأما ما ذكره ابن طولون من أن ابن الملقن أول من صنف فيها فهذا غير صحيح، والسبب في هذا لعله لم يبلغه ذلك.

غالب العلماء يجعلون الخصائص في أربعة أقسام:

ما اختص به ﷺ من الواجبات، وما اختص بالتحريم، وما اختص بالإباحة، وما اختص بالفضائل.

وابن الملقن رحمه الله صار على هذه الطريقة: ما وجب عليه دون غيره، ما حرم عليه دون غيره، ما أبيح له دون غيره، وما اختص به من الفضائل دون غيره.

من الكتب المصنفة في الخصائص:

١. نهاية السول في خصائص الرسول لأبي الخطاب ابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ).

وهو مطبوع في جزء لطيف، وقد سرد فيه الخصائص سردا من غير ترتيب، وهو يعتني بذكر الأدلة على الخصائص، وكذلك يعتني بنقد الحديث وبيان معانيه.

٢. ذكر ما أعطي نبينا ﷺ للضياء المقدسي (ت٦٤٣هـ)، وهو مخطوط.

٣. بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، وهو مطبوع بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله، وهو كتاب صغير، وقد ذكر فيه قرابة ٤٠ خصيصا.

٤. خصائص النبي ﷺ لمغلطاي (ت٧٦٢هـ)، وهو مخطوط.

٥. كفاية اللبيب في خصائص الحبيب "المشهور بالخصائص الكبرى" للسيوطي(ت٩١١هـ)، وهو كتاب مشهور، وقد ذكر فيه الدلائل والشمائل كذلك، وقد اشترط على نفسه أنه ينزهه من الأخطاء الواهية، وكذلك اشترط الاستيعاب.

فأما الاستيعاب فإنه قد حاول ذلك، ولكن في التنزيه عن الأخطاء الواهية فلم يفي بشرطه، بل الكتاب مليء بالأحاديث الضعيفة جدا، والموضوعة، وفيه أشياء ثابتة وكذلك غير ثابتة من خصائص النبي ﷺ، والكتاب مطبوع قديما بتحقيق الشيخ محمد خليل هراس.

٦. مرشد المحتار إلى خصائص المختار لابن طولون محمد بن علي الصالحي (ت٩٥٣هـ)، وهو مطبوع.

٧. من أوسع كتب الخصائص: اللفظ المكرم لخصائص النبي الأكرم لقطب الدين محمد بن محمد الخيضري (ت٨٩٤هـ).

من أشهر كتب الخصائص: غاية السول في خصائص الرسول لأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن الشافعي (ت٨٠٤هـ)، وهو مطبوع.

الكلام على أهم كتب الدلائل بالتفصيل:

١) غاية السول في خصائص الرسول لأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن (ت٨٠٤هـ).

- كتابه جزء لطيف، وقد سار في كتابه على الطريقة المشهورة في التقسيم، وهي طريقة الفقهاء (الواجبات، المحرمات، المباحات، الفضائل) وبناء عليه قد قسم كتابه إلى ٤ أقسام، وكل قسم قسمه إلى قسمين: قسم يتعلق بالنكاح، وقسم فيما يتعلق بغير النكاح.

- وقد صار فيه على طريقة الفقهاء الشافعية، ويعتني بذكر كلامهم في المسائل، وكذلك يعتني بذكر الخلاف في الخصيصة.

- **وامتاز** الكتاب بالتزامه في اثبات الخصيصة بالدليل من الكتاب والسنة.

- **وطبع الكتاب** في مجلد لطيف بتحقيق عبد الله بحر الدين

وأصل التحقيق رسالة علمية ماجستير بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٠هـ.

٢) اللفظ المكرم لخصائص النبي الأكرم لقطب الدين محمد بن محمد الخيضري. (٨٩٤هـ وقيل ٩٠٠).

- والمؤلف قطب الدين شافعي من تلامذة ابن حجر، ويعد الكتاب من أوسع الكتب في الخصائص، وقسم كتابه كتقسيم الفقهاء إلى ٤ أقسام، وكل قسم إلى نوعين.

- **وامتاز** الكتاب أنه يذكر الحكمة من هذه الخصيصة، وهو يعتني بذكر الأدلة على كل خصيصة يذكرها، وكذلك يعتني بذكر خلاف العلماء إن وُجد خلاف في إثبات الخصيصة.

- **وقد طُبع الكتاب** عدة طبعات منها:

طبعة دار المعرفة بتحقيق الدكتور محمود عبد المحسن.

شمائل النبي ﷺ

أ- الكلام على صفاته الخَلقية عليه الصلاة والسلام:

وقد جاء عن جملة من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم وصفوه، وغالب من وصفه إنما كانوا من صغار الصحابة، وقد ذكر هذا عمرو بن العاص، والزبير بن العوام، وذلك أن النبي ﷺ قد وصف بالهيبة من رآه هابه، فكان كبار الصحابة يعظمونه ويجلونه من أن يحدّون النظر فيه.

١/ وصفه وحسن خَلقه:

كان رسول الله من أحسن الناس خلقا ﷺ:

- ومن وصف النبي ﷺ ذكر حسن خَلقه وجمال صفاته، فالنبي بلغ الغاية في الجمال وحسن الصورة، يقول البراء بن العازب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خَلقا. والحديث في الصحيحين.

- يقول البراء بن العازب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم.

"**بعيد المنكبين**": أي أنه كان ﷺ واسع الظهر.

"**الحلة**": اللباس التي تكون من قطعتين.

"**الحمراء**": برود يمانية مخططة، فيها خطوط حمراء.

- يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكان رسول الله أبيضا ويشوب بياضه شيء من الحمرة، فليس بالأبيض الأمهق، وعرقه مثل اللؤلؤ.

– ويقول أنس ﷺ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

لم يكن طويلا أو قصيرا، فكان متوسطا.

ولم يكن شعره ناعما مسترسلا، ولم يكن خشنا جدا.

"**فأقام بمكة عشر سنين**": مع أن الرسول أقام بمكة ١٣ سنة فكيف الجمع؟

– قالوا أن أنسا ﷺ لم يذكر ٣ سنوات السرية.

– وقالوا: أن هذا من باب التغليب.

"**وتوفاه الله على رأس ستين سنة**": كذلك من باب التغليب.

– وقال جابر ﷺ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقبين.

قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين، قال: قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب.

"**عظيم الفم**": وهذا يدل على الفصاحة والبيان.

"**طويل شق العين**": وقد انتقد سماك في تفسيره هذا، وتعقبه الشراح في هذا فقالوا: شكلة العين هو أن يكون في بياض العين شيء من الحمرة، وهو نوع من الجمال عند العرب.

"**قليل لحم العقب**": هو اللحم الذي يكون في مؤخرة القدم، فكان رسول الله ﷺ قليل لحم العقب، وهذا يدل على أن الرسول ﷺ لم يكن سمينا.

– عن يزيد الفارسي ﷺ قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام زمن ابن عباس. قال: فقلت لابن عباس: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم! فقال ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم فقد رآني». هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم؟ قال: نعم، أنعت لك رجلا بين الرجلين، جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، أكحل العينين، حسن الضحك، جميل دوائر الوجه. ملأت لحيته ما بين هذه إلى هذه، قد ملأت نحره – قال عوف: ولا أدري ما كان مع هذا النعت – فقال ابن عباس: لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا.

وهذا دليل على أن النبي ﷺ يُرى في المنام ولكن على الوصف الذي وُصف.

فالأحاديث السابقة كلها تدل على أن النبي ﷺ بلغ الغاية في الكمال والحسن في الخِلقة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كان خَلقُه صلى الله عليه وسلم وصورته من أكمل الصور، وأتمها، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله".

وهذا يدل على أنه نبي؛ لأن الله عز وجل قد جعل فيه أكمل الصفات الخَلقية، والخُلقية كذلك.

٢/ الكلام على خاتم النبوة:

من الصفات التي وصف بها النبي ﷺ في الكتب السابقة أن بين كتفيه خاتم النبوة، وهذا الخاتم أحد الآيات الدالة على نبوته.

ولم يؤمن سلمان الفارسي ﷺ إلا بعد أن رآى تلك الخاتم؛ لأنه قد اتطلع عليها في كتب أهل الكتاب.

وصف خاتم النبوة:

جزء بارز من البدن بين الكتفين في ظهره ﷺ وهو من الكتف الأيسر أقرب، ولونه كلون سائر البدن، وهو في الحجم مثل بيض الحمامة صغير الحجم.

- يقول عبد الله بن برجس ﷺ: نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل.

- ويقول السائب بن يزيد ﷺ: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وجع! فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة.

ولم يثبت أن هذا الخاتم مكتوب عليه محمد رسول الله، أو غير ذلك من الكلمات.

وقد قال في وصفها ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها "محمد رسول الله" أو "سر فأنت المنصور" أو نحو ذلك، فلم يثبت منها شيء».

٣/ صفة شعره عليه الصلاة والسلام:

وصف طوله: كان شعره يبلغ إلى نصف أذنيه، وقد يطول في بعض الأحيان حتى يصل إلى الكتف، فالنبي ﷺ كان شعره يكون أحيانا جمة، وأحيانا لِمة، وأحيانا وفرة، وغالب الأحيان لا يبلغ عاتقه وإنما يكون أعلى منه.

فالجمة: هو الشعر الذي يصل إلى الأذنين، فإن تجاوز الأذن **يسمى لِمة**، وإن زاد وبلغ للمنكب **يسمى وفرة**.

وصف شكله: ولم يكن شعره شديد التثنى والخشونة، ولا بمسترسل ناعم جدا، بل شعره وسط بين هذين.

- وقال في وصفه أنس ﷺ: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه.

- ويقول البراء بن عازب ﷺ: كان رسول الله ﷺ عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه اليسرى.

- وجاء في حديث عائشة ﷺ: وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة.

هل إطالة الشعر يدخل في باب التأسي به؟

الذي يظهر والله أعلم أنه ليس داخلا في باب السنية وإنما هو في باب العرف والعادات.

والذي أطال شعره وأراد السنة فلا بد من تسريحه ومشطه ودهنه، ولا بد ألا يكون على هيئة تشابه النساء، أو الكفار وأهل الفسق والبدعة.

٤/ صفة لحيته:

وقد جاء الأمر بإعفاء اللحية في أكثر من حديث، وكان عليه الصلاة والسلام كث اللحية (كثير اللحية).

- وصفه جابر بن سمرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية.

- وجاء عن البراء بن عازب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كث اللحية.

- وعن يزيد الفارسي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وفيه ملأت لحيته ما بين هذه إلى هذه قد ملأت نحره. (والنحر أعلى الصدر).

- وجاء أن الصحابة كانوا يعرفون قراءته في السرية باضطراب لحيته، فلحيته كانت عظيمة.

٥/ شيبه عليه الصلاة والسلام:

- الشيب هو الشعر الأبيض وغالبا يكون لكبر السن، وكان شيبه ﷺ قليل جدا.

- وقد وصفه أنس ﷺ: وقُبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

حتى أنّ أنسا سأل أخضب رسول الله؟ قال: لم يخضب.

- وكان هذا الشيب في ثلاثة مواضع ذكره أنس ﷺ: فقال: ولم يختضب رسول الله ﷺ، إنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين، وفي الرأس نُبذ.

"**العنفقة**": الشعر الصغير الذي تحت الشفة، "**الصدغ**": الذي يكون جانب الرأس.

وغالبا الشيب عندما يبدأ يكون في هذه الأماكن.

٦/ وجهه عليه الصلاة والسلام:

- وجهه كُسِي جمالا بالغا أعظم من جمال القمر.

كما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خَلقا.

- وسئل البراء بن العازب ﷺ أكان وجهه مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.

يعني في الضياء والنور والاستدارة.

٧/ طوله عليه الصلاة والسلام:

كما مر في حديث أنس ﷺ: كان ربعة، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

فكان وسطا بل هو أقرب للطول، ولذلك كان ما مشى مع أحد إلا وبان أن رسول الله ﷺ أطول منه، وهذا من كمال خَلقه.

٨/ لونه عليه الصلاة والسلام:

ذُكر في حديث أنس ﷺ: كان أزهر اللون ليس بأبيض، أمهق ولا آدم.

ومعنى أزهر: أبيضًا مشربًا بالحمرة.

٩/ أسماؤه عليه الصلاة والسلام:

- وقد جاء في حديث جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.

ومعنى العاقب: الذي عقب الأنبياء، فهو آخر الأنبياء.

- وجاء في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: أنا محمد، وأحمد، والمقفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة.

ومعنى المُقفّي: هو الذي خُتم به النبوة.

– وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن النبي ﷺ أسماؤه هذه ليست أعلاما فقط، وإنما هي أعلام وأوصاف دالة على كماله غير بقية الناس.

وهذه هي الأسماء الثابتة عنه أما غيرها من الأسماء مثل طه وياسين فلا أصل له.

ب– صفاته الفعلية:

١/ صفة مشيه عليه الصلاة والسلام:

كان إذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صبب أي ينحدر من مكان مرتفع، ولم يكن مشيه مشيا ينافي الهيبة والسكينة والوقار، ومشيه هكذا كان من عادته لا من تكلفه.

٢/ صفة تقنعه ﷺ:

– والمقصود به: تغطية الرأس.

– وقال أهل العلم فيه أن هذا التقنع لم يكن من عادته، أي خلاف الأصل.

– وقد أورد الترمذي حديثا لا يصح في الشمائل وهو أن النبي ﷺ كان يتقنع، إذا الدهن كأنما ثوبه ثوب زيات. (يعني أن تقنعه كان بسبب الزيت على الشعر) وهذا الحديث لا يصح.

– والسبب في التقنع كما جاء في البخاري أن النبي ﷺ تقنع فلما أراد الهجرة قالت عائشة رضي الله عنها: فبينا نحن يوما جلوس في بيتنا في نحر الظهيرة، فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها.

فتقنعه كان حتى لا يُعرف.

- وجاء في حديث عبد الله بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ثم تقنع بردائه وهو على الرحل.

فتقنعه هنا جاء من التخشع والخوف، لأن هذا موطن قد نزل فيه عذاب الله، وهو موطن عذاب عاد.

فتقنعه كان لسبب وليس هذا من عادته ﷺ.

٣/ صفة جلوسه واتكائه ﷺ:

- فكان يجلس على حصيد، ويجلس بين أصحابه من غير أن يميز نفسه عنهم.

- ولقد جلس ﷺ متكئا، وهذا فيه جواز الجلوس متكئا في غير الأكل.

- وجلس النبي ﷺ محتبيا كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد احتبى بيديه.

والاحتباء: يرفع ركبتيه ويضمها بيديه إلى صدره، مثل: جلوس بعض الناس في يوم الجمعة، أو في حلق العلم.

- والاحتباء جائز، إلا يوم الجمعة فهو مكروه لأنه مظنة انتقاض الوضوء.

- ونهي عن الاحتباء إذا كان على الإنسان ثوب واحد لأنه يتعرض إلى انكشاف العورة.

- وجاء في حديث جابر بن سمرة، قال: رأيت النبي ﷺ متكئا على وسادة على يساره.

- وجاء كذلك أن النبي ﷺ استلقى واضطجع في المسجد كما في حديث عبد الله بن زيد أنه: رأى رسول الله ﷺ مستلقيا في المسجد، واضعا إحدى رجليه على الأخرى.

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله: أن النبي إنما استلقى عندما لم يوجد أحد، أو عند القلة من أصحابه، ولم يكن غالب فعله، وإنما استلقى للاستراحة.

وأما وضع رجليه على الأخرى فهذا يدل على الجواز، وهو منهي عنه إذا لم يأمن انكشاف العورة.

٤/ صفة أكله وشربه:

- فإن النبي ﷺ كان يشرب ويأكل جالسا، وقد شرب واقفا في أحوال، وقد جاء عن عبد الله بن عمرو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائما وقاعدا.

فحمل أهل العلم الأكل والشرب قائما على كراهة التحريم.

- وجاء أيضا أن النبي كان يأكل بثلاث أصابع، وكذلك لعق أصابعه بعد الفراغ من الطعام وبين الحكمة في ذلك أنه للبركة، وكذلك ﷺ لم يكن يأكل متكأ.

والمقصود بثلاثة أصابع هو: الإبهام، والسبابة، والوسطى.

وقال أهل العلم: المقصود بالأكل بثلاثة أصابع أي: في الشيء الذي يتأتى أكله بثلاثة أصابع، وأما الذي لا يتأتى فيه مثل الأرز اليوم فلا يقال أنه من السنة الأكل بثلاثة أصابع.

كما جاء عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها.

- ولم يكن ﷺ يعيب الطعام، وكان يحب الدباء ويتتبعه، والدباء هو اليقطين، كما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعجبه الدباء فأتي بطعام أو دعي له فجعلت أتتبعه فأضعه بين يديه لما أعلم أنه يحبه.

- وكذلك كان يحب الحلواء والعسل كما جاء في حديث عائشة ﷺ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل.

- ولم يكن من هديه ذم الطعام أو عيبه كما جاء في الحديث: ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه.

- وكان ﷺ يحب الذراع من الأكل، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال أُتي النبي ﷺبلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها.

"**نهس منها**": أي قطع منها بأسنانه.

- وكان ﷺ يشرب ثلاثا، ويتنفس في الإناء ثلاثا، ولم يكن يشرب دفعة واحدة، فقد جاء في حديث أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثا، ويقول أنه أروى وأبرأ وأمرأ.

"**أروى**": من الريق، أي أنه أفضل في دفع العطش.

"**أبرأ**": أبرأ في عدم حصول الألم أثناء الشرب دفعة واحدة.

"**أمرأ**": أكثر ريا، وأكثر إذهابا للعطش.

ومعنى يتنفس في الشراب: أنه يتنفس بعيد عن الإناء وليس في الإناء فقد جاء النهي عنه في السنة.

٥/ صفة تعطره:

وقد كان النبي أحسن الناس رائحة، ومع ذلك كان يحب الطيب ويكثر من التطيب، كما جاء في حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حبّب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة.

وأما ما ورد حبب إلي من الدنيا ثلاثة فغير صحيح كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر وغيرهم من العلماء رحمهم الله؛ لأن الصلاة ليست من أمر الدنيا.

- وجاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كانت للنبي ﷺ سكة يتطيب منها.

ومعنى سكة: هو الإناء أو الوعاء من الجلد الذي يوضع فيه الطيب.

- أما رائحة عرقه فكان من أكثر الرائحة طيبا كما قالت أم سليم ﷺ: أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها. فتبسط له نطعا فيقيل عليه. وكان كثير العرق. فكانت تجمع عرقه

فتجعله في الطيب والقوارير. فقال النبي ﷺ ''يا أم سليم! ما هذا؟'' قالت: عرقك أدوف به طيبي.

– وقد كان النبي ﷺ ينهى عن رد الطيب، وردّه مكروه إلا في حالة واحدة وهي: إذا ترتب عليه ضرر، أو رائحته لم تكن حسنة.

– وكان يتطيب في رأسه ولحيته وجسده ﷺ.

٦/ صفة كلامه عليه الصلاة والسلام:

فالله عز وجل قد آتاه جوامع الكلم، فكان يتكلم بالكلام القليل الموجز الكثير المعنى كما فسره الإمام الزهري.

وكلامه كلام بيّن واضح من شدة بيانه ووضوحه يفهمه كل من سمعه كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم.

– وجاء أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه.

– وكان في أحوالٍ يعيد الكلام ثلاثا، وهذا إن لم يفهم الكلام، ولذلك فلا يُقال أن من السنة إعادة الكلام ثلاثا.

٧/ صفة ضحكه ومزاحه ﷺ:

وكان أكثر ضحكه التبسم، ولذلك جاء في حديث عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ.

– وجاء عنه حثه على التبسم فقال ﷺ: وتبسمك في وجه أخيك صدقة.

– وكان يضحك أحيانا حتى تبدو نواجذه، ولم يكن من هديه أنه يقهقه، وإذا فرح سرّ وجهه وأضيء حتى يُعرف أسارير وجهه.

- وكان ﷺ يمازح أصحابه ويداعبهم، ولا يسيء لأحد منهم، ولا يقول إلا حقا، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال: إني لا أقول إلا حقا.

- فلا يقول إلا حقا سواء في المزاح أو الغضب كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش عن ذلك وقالوا: تكتب ورسول الله ﷺ يقول في الغضب والرضا فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق.

- ولا يمزح ﷺ على سبيل الكذب، بل جاء عنه الوعيد الشديد فيمن أضحك الناس بالكذب، كما جاء عنه ﷺ: ويل للذي يكذب ليضحك القوم ويل له ويل له.

- ومن مزحه مع أصحابه: أن رجلا استحملَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال إني حاملكَ على ولدِ ناقةٍ فقال يا رسولَ اللهِ ما أصنعُ بولدِ الناقةِ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهل تلدُ الإبلُ إلا النوقَ.

٨/ صفة بكائه عليه الصلاة والسلام:

وقد ثبت أن النبي حزن وبكا لفراق بعض أصحابه لما ماتوا، فبكا لما نعى جعفر، وحزن وبكا لما قتل القرّاء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبكا لما مات ابنه إبراهيم، وحزن وبكا لما ماتت خديجة رضي الله عنها.

- وبكا لخشية الله كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ اقرأ علي، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت:{فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١]، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان.

- وجاء في حديث عبد الله بن الشّخّير قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

– أما البكاء بشدة والنهيق عند نزول المصائب أو خشية من قراءة الآيات فهذا لم يكن من هديه ﷺ ولا من أصحابه رضوان الله عليهم.

٩/ صفة نومه ﷺ:

وقد كان ينام على شقه الأيمن ويضطجع على كفه الأيمن فيجعله تحت خده الأيمن، وكان يحرص على قراءة الأذكار قبل النوم، فقد جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ: أن رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا أخذَ مضجعهُ وضعَ كفهُ اليُمنى تحتَ خدهِ الأيمنَ، وقال: ربِّ قنِي عذابكَ يومَ تبعثُ عبادكَ.

– وجاء في حديث عائشة ﷺ: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، فنفث فيهما، وقرأ فيهما: {قل هو الله أحد}، و{قل أعوذ برب الفلق}، و{قل أعوذ برب الناس}، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات.

فالواو في قرأ لا يقتضي الترتيب أو التقديم، كما ورد في الروايات الأخرى، والأصل أن النفث يأتي بعد القراءة كونه يتبرك بهذا النفث الذي قرأ به القرآن، وقد ذكر ابن عثيمين رحمه الله أن لو شخصا نفث ثم قرأ يُرجى له حصول الثواب.

– وجاء في حديث قتادة ﷺ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في سفر فعرس بليل، اضطجع على يمينه، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه.

وهذا حتى يسهل الاستيقاظ، وكان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه.

١٠/ حجامته عليه الصلاة والسلام:

والحجامة: إخراج الدم الفاسد من البدن.

وقد فعله ﷺ من باب التطبب والتداوي، وأوصى بها كما جاء في الحديث: الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي.

- فلا يقال أن الحجامة من السنة، وإنما يفعل حال الحاجة.

وجاء في حديث ابن عباس ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ احتجَمَ في الأَخْدَعَينِ وبيْن الكَتِفَينِ، وأعْطى الحجَّامَ أجْرَهُ، ولو كان حرامًا لم يُعْطِه.

"والأخدعين": العرق الذي خلف الرأس.

١١/ صفة سواكه:

فكان ﷺ يحب السواك ويحث أمته عليه كما جاء في الصحيحين: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك، وفي رواية: عند كل وضوء.

- وجاء في حديث عائشة ﷺ: كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك.

- فيشرع السواك عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند دخول البيت، وعند الاستيقاظ، وأيضا كما يقول الفقهاء عند تغير رائحة الفم.

- وسواكه ﷺ من باب التطيب وليس من باب إزالة الأذى، ولذلك الفقهاء اختلفوا بأي اليدين يتسوك:

  - من قال إنه من باب إزالة الأذى: فإنه بالشمال
  - ومن قال إنه من باب التطيب: فإنه باليمين.

١٢/ صفة اكتحاله:

والاكتحال: نوع من الحجر يطحن ويستخدم في طرفي العين، وقد جاء في حديث ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يكتحل قبل أن ينام بالإثمد، ثلاثا في كل عين.

وهذا الحديث فيه خلاف في ثبوته، ففعله مختلف فيه، لكن جاء حث النبي من قوله على الاكتحال، والحث على الإثمد، وهو من أحسن أنواع الكحل، فهو ينقي البصر وينبت الشعر كما جاء في الحديث.

١٣/ خضابه عليه الصلاة والسلام:

والخضاب هو: الصبغ.

وقد جاء في حديث قتادة ﷺ: قال: قلت لأنس بن مالك: هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: لم يبلغ ذلك، إنما كان شيبا في صدغيه، ولكن أبو بكر خضب بالحناء والكتم.

فأنس ﷺ ينفي خضابه ﷺ.

والحناء: نبات معروف يخضب به، ويكون لونه أحمر بعد الخضاب.

الكتم: نبات مثل الحناء يوضع غالبا مع الحناء ويكسب الشعر لونا قريبا للسواد، والخضاب به قد جاء الحث عليه في الحديث، وليس داخلا في السواد المنهي عنه.

وقد جاء أن أبا هريرة سئل هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

وأهل العلم اختلفوا في حمل هذه الأقوال من خضابه وعدمه، فقالو:

- منهم من قال: أن النبي ﷺ لم يخضب، وإنما رأوا أثر الطيب؛ لأن النبي ﷺ كان يبالغ في الطيب.

- ومنهم من قال: أنه ﷺ خضب أحيانا قلة، والغالب أنه لم يخضب لقلة شيبه.

ج- صفات النبي ﷺ الخُلُقية:

فنبينا ﷺ فد بلغ الكمال في الصفات الخَلْقية والصفات الخُلُقية، والصفات الفعلية وأحواله؛ فأحسن حال هو حاله ﷺ، وأحسن صفة خَلْقية؛ خُلِق عليها رسول الله ﷺ وأكمله، وأحسن خُلُق هو خلقه ﷺ، ولذلك الله ﷻ مدحه بالخلق فقال {وإنّك لَعلى خُلُقٍ عظيم} [سورة القلم:٤]، وهذا الآية وغيرها مما جاء في معناه من نصوص في الكتاب والسنة مما فيه بيان حسن خُلُقه ﷺ؛ فيه دلالة على نبوته؛ لأن من أعلام نبوته كمال خلقه، وفيها دلالة

أيضا على عصمته من الكذب؛ لأن الله ﷻ امتدحه بالخلق العظيم، وفيها مدح للنبي ﷺ وثناءٌ عليه.

فالآية تدل على المدح له ﷺ بحسن الخلق، أنه أعطي الخلق الأكمل، وفيها دلالة على نبوته، ودلالة على عصمته من الكذب، فلا يمكن أن يجتمع في رجل واحد إلا أن يكون نبيا.

وعائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن"

ومن صفاته الخُلقية:

١- تواضعه ﷺ:

فإن النبي ﷺ كان الغاية في التواضع، ومن تواضعه:

- أنه يخالط جميع الناس، صغيرهم وكبيرهم، ضعيفهم وقويهم، فقيرهم وغنيهم، عبيدهم وأحرارهم.
- بل كان ﷺ من تواضعه أنه لا يعرف ولا يمتاز بصفة تُمَيِّزه بين أصحابه، فالقادم عليه بين أصحابه يسأل عنه: أيكم محمد؟ فلم يكن ﷺ له صفة تُمَيِّزه عن أصحابه، لا في الجلوس ولا المكان واللباس.
- ومن تواضعه أنه ﷺ كما ذكر أنس رضي الله عنه قال: حج النبي ﷺ عَلَى رَحْلٍ، رَثٍّ، [أي قديم] وقَطِيفَةٌ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ أو لَا تُسَاوِي [أي لا تبلغ هذا الثمن القليل وهذا من تواضعه] **ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ"**. [أي مع ركوبه على هذه الدابة القديمة الرخيصة ومع ذلك يسأل الله ألا يكون في حجه مُرَاءاة ولا تسميع للناس وهذا من تواضعه]
- ومن تواضعه أنه ﷺ كان يقبل الهدية من أصحابه ولو قلّت، ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **"لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ** [أي كراع شاة وهي من أقل الطعام]، **وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ لَأَجَبْتُ"**.

- ومن تواضعه ﷺ أن الصغير والكبير الذي له حاجة عند النبي ﷺ يأخذ بيده ويخبره عن حاجته، فلم يكن ﷺ حاله كحال وهيأة الملوك، بل نبينا ﷺ تواضع إلى ربه -كما أشار عليه جبريل- فخُير بين أن يكون ملكا أو عبدا، فاختار ﷺ أن يكون عبدا رسولا، حتى قال أنس رضي الله عنه "إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا" [والمقصود بالأمة هنا هو الجارية الصغيرة التي لم تبلغ، وليس فيه دلالة على جواز مس المرأة بل كما قلت عائشة رضي الله عنها "ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة لا تحل له وإنما كان يبايعهن بالكلام"] وهذا النبي ﷺ ما كان يأنف أن تأتي طفلة صغيرة لها حاجة، أو أرسلها أبويها بحاجة للنبي ﷺ فتأخذ بيده حتى يقضي حاجتها.
- بل من تواضعه ﷺ أنه كان يسلم على الصبيان.
- ومن تواضعه ﷺ أنه كان لا يتكلف أمرًا، فكان ﷺ ينام على الحصير، ويمر به الأيام في بيته لم يوقد نارًا وهو رسول الله ﷺ.
- ومن تواضعه: أنه ﷺ كان يقوم في خدمة أهله كما جاء في حديث حين سئلت عائشة ~ عن عمل النبي ﷺ: فقالت: كان يَخيطُ ثوبَه ويخصِفُ نعلَه ويحلب شاته ويقوم في خدمة أهله؛ وهذا يدل على غاية التواضع، وهو نبي الأمة مع ذلك لم يستأنف ولم يستكبر أن يخدمه زوجه وأهله، وأن يقوم علة شؤونهم.

٢- حياؤه ﷺ:

من الصفات الخُلُقية التي جبل الله ﷻ عليها:

- فكان من أشد الناس حياءً، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ" [والعذراء: المرأة التي لم تتزوج، والخدر: الغرفة التي داخل البيت، فكانت العرب إذا كانت المرأة عذراء لا تخرج من بيتها بل تمكث في غرفة داخل البيت لشدة حياء النساء]

- فشُبّه النبي ﷺ أنه في حيائه أشد من هذه المرأة العذراء التي داخل خدرها.
- وكان النبي ﷺ يشتد حياؤه ويعرف ذلك من وجهه، وفي قصة عروجه إلى السماء وفرض الصلوات الخمس لما تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه جل جلاله وكل مرة يشير عليه موسى عليه السلام بالرجوع وطلب التخفيف، قال ﷺ **"إني استحييت من ربي"**
- ولذلك النبي ﷺ لما جاءته امرأة تسأل عن الاغتسال بعد الحيض، فذكر النبي ﷺ الغسل ثم قال **"تتَّبعينَ بِها أثرَ الدَّمِ"** فقالت: كيف؟ فجاء في روايات: أنه **"قال سبحان الله"**، وفي رواية: أعرض بوجهه حياءً، فأشار إلى إحدى أمهات المؤمنين أن تعلمها.
- وحياؤه ﷺ لم يكن مانعا له من نشر الحق وإظهاره [وفرق بين الحياء المحمود والحياء المذموم الذي يسمى بالخجل] وأما الحياء قد جاء الحث عليه فإن النبي ﷺ لما مر برجل يعيب أخاه في الحياء فقال له ﷺ **"دعه فإنَّ الحياء لا يأتي إلَّا بخَيرٍ"**.

٣- كرمه ﷺ:

وقد بلغ الغاية في الكرم:

- كان أجود الناس.
- وكان ينفق ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، حتى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ [أي قطيع غنم كثير يملأ واد بين جبلين] فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ [أي تأليفا له على الإسلام]، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَسْلِمُوا! فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. [ولا أعظم من وصف كرمه بما قاله هذا الرجل]
- فكان ﷺ ينفق ولا يبالي بكثرة إنفاقه، حتى إن مال الزكاة والغنيمة ليفض على النبي ﷺ فلا تمر الثلاثة أيام إلا وقد قَسَمَه ﷺ بين الناس، ولم يكن في بيته شيء، وهذا من كرمه.
- ومن كرمه يقول ابن عباس رضي الله عنه"كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضانَ حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ يَلْقاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضانَ فيُدارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ". [فابن عباس وصف كرم النبي ﷺ وجوده

بأنه أشد من الريح المرسلة أي أكثر أسرع إنفاقا ولا يبالي بكثرة إنفاقه]، وقوله "كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ" إشارة إلى أن كرمه وجوده في السنة كلها، إلا أن هذا الجود يكثر في رمضان.

- ومن كرمه أنه ﷺ لم يكن يسأل شيء إلا أعطاه السائل، كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال "ما سُئِلَ رَسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ فَقالَ لَا"
- ومما يدل على كرمه لما أعطي النبي ﷺ قطيفة كان محتاجا إليها، فسأله أحد أصحابه فنزعه النبي ﷺ وأعطاه إياه.

٤- شجاعته ﷺ:

- فإن النبي ﷺ كان أشجع الناس، جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ [هذا في الصفات الخَلْقية] وَأَشْجَعَ النَّاسِ [هذا في الخُلُق] وَأَجْوَدَ النَّاسِ [هذا في الخُلُق] وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ [أي سمعوا صوت] فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَقَهُمْ عَلَى فَرَسٍ [وفي رواية: "عُرْيٍ أي بدون سَرْجٌ ويقول: لَن تُرَاعُوا، لَن تُرَاعُوا" ومعلوم أن ركوب الفرس بدون سرج لا يستطيعه كل أحد وهذا يدل على الشجاعة والقوة والفروسية] وَقَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا" [أي هذا الخيل الذي ركبه وجده بحر في قوة جريه] والشاهد من هذا أن النبي ﷺ كان أشجع الناس، فلما سمع أهل المدينة صوتا، فذهبوا يستطلعون فإذا النبي ﷺ راجع وقد سبقهم إلى مكان هذا الصوت حتى يعرف ما الأمر.
- كان من أثبت الناس عند لقاء العدو، كما جاء في الحديث: "أن الصحابة كان إذا احتمى الوطيس قالوا: احتمينا برسول الله ﷺ" فاحتموا به لشجاعته.
- ومن ذلك ما وقع للنبي ﷺ في غزوة حنين لما سبق بعض الصحابة -وكانوا في أول الجيش- ولم يكن معهم دروع، فباغتوهم بالنبل، -وكانوا رماة- فحصل أن رجعوا للوراء؛ لأنه ليس معهم دروع تحميهم وتقيهم من السهام، فلما رأى النبي ﷺ هذا -وكان على بغل- فأخذ ينادي بصوته **"أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ"** وأخذ يضرب

بغلته للتقدم، فلما سمع الصحابة كلامه، اجتمعوا حوله، وأقدموا كإقدامه ﷺ [وهذا يدل على شجاعته ﷺ؛ لأن النبي ﷺ كان على بغلة، والبغلة لا تصلح للحرب لأنها ليست سريعة فلا تَفِر ولا تُفِر]

- ومن شجاعته ﷺ أيضا ورباطة جأشه: ما وقع له لما رفع عليه رجل سيفه اسمه غَوْرَثُ ابنُ الحارِثِ، وهو يستظل تحت شجرة، قال: ما يمنعك مني؟ فقال ﷺ: **"الله"**

٥- عفوه ﷺ:

- كان يعفو ويصفح مع قدرته على الانتقام، وهنا يكمل الكمال، تقول عائشة رضي الله عنها كما عند الترمذي "لم يَكُن فاحِشًا ولا مُتفَحِّشًا [هذا في حسن الخلق] ولا صخَّابًا في الأسواقِ [صخاب: الذي يرفع صوته في السوق، بل جاء أنه ﷺ نهى عن هيشات الأسواق]، ولا يَجزي بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولَكِن يَعفو ويَصفَحُ" فالنبي ﷺ لا يعاقب مع قدرته على المعاقبة والانتقام.

- وكان ﷺ يعفو عمن أساء إليه، ولا ينتقم لنفسه، كما في قصة الرجل الذي شهر السيف في وجهه ﷺ، يقول جابر رضي الله عنه: أنَّهُ غَزَا مع النبيِّ ﷺ، فأدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ [وهو نوع من الشجر يُستغذ به، وله شوك]، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ في العِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، فَنَزَلَ النبيُّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ بهَا سَيْفَهُ، ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وعِنْدَهُ رَجُلٌ وهو لا يَشْعُرُ به، فَقالَ النبيُّ ﷺ: إنَّ هذا اخْتَرَطَ سَيْفِي، فَقالَ: مَن يَمْنَعُكَ؟ [أي بأن أقتلك] قُلتُ: اللَّهُ، فَشَامَ السَّيْفَ [أي سقط من يده]، فَهَا هو ذَا جَالِسٌ [أي الرجل]، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ [وهذا من كمال صفحه ﷺ وكمال حِلمه]

- وكان ﷺ يصبر على من ظلمه ويعفو كما وقع له ﷺ لما ذهب إلى الطائف، فآذه الناس، وأرسلوا إليه سفهاءهم، فأدموا عقبيه ﷺ، فجاءه ملك الجبال يستأذنه في أن يطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ **"لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله"** وهذا من كمال عفوه وكمال حلمه ﷺ، وكمال رأفته وشفقته للأمة، وقد أخرج الله ﷻ من أصلاب هؤلاء من آمن بالله، عبد الله ﷻ وحده.

٦- رفقه ﷺ:

فكان رحيما رفيقا بأمته، وقد وصفه بهذا في القرآن كما قال سبحانه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [سورة التوبة:١٢٨].

- ومن رفقه ورحمته: أن وصفه الله ﷻ: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [سورة آل عمران:١٥٩].

- ومن رفقه لأمته ﷺ: كان النبي ﷺ لم يخير بين أمرين إلا اختار أيسر منهما ما لم يكن هذا إثما أو حراما، تقول عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين "ما خُيِّرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلَّا أخَذَ أيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فإنْ كانَ إثْمًا كانَ أبْعَدَ النَّاسِ منه" وهذا فيه رد على من يزعم التيسير على الناس بدعوة وجود الخلاف بين العلماء [أي منهج التيسير المعاصر، المبني على تتبع الرخص] وهذا مذموم فأن عائشة رضي الله عنها تقول: "ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا"، ولذلك جاء ذم السلف عن تتبع الرخص ويقولون: إن من تتبع الرخص تزندق، وقالوا: من تتبع الرخص يجتمع فيه الشر كله، وذلك أن هذه الاجتهادات التي وقعت من بعض العلماء وأخطأوا فيها، هم مأجورون عليها لأنهم بلغوا درجة الاجتهاد، وليس لأحد الناس متابعتهم عليها لمخالفتها للنصوص بدعوة الأخذ بالأيسر.

- وكان ﷺ يأمر بالرفق ويوصي به، كما في حديث عائشة رضي الله عنها **"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"** كما وقع له لما جاءت اليهود فقالوا: السام عليكم. [أي الموت] فقال ﷺ: **"وعليكم"** فقالت عائشة رضي الله عنها: وعليكم السام واللعنة والغضب فقال ﷺ: **"مهلا يا عائشة"**، قالت: أولم تسمع ما قالوا، قال: **"نعم، وقد قلت: وعليكم"** [أي النبي ﷺ رد عليهم الدعوة] قال: **"إن الله كافيني إياه"** [فالنبي ﷺ مجاب الدعوة، أي فرجعت دعوتهم عليهم]

- وكما جاءه الرجل الذي قال فيه: **"بئس ابن العشيرة، بئس أخو العشيرة"** ثم سألته عائشة ﵂: قُلْتَ ما قُلْتَ، ثم تبسمت إليه؟ قال ﷺ: **"إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"**. فكان ﷺ رفيقا بأمته ويوصي بالرفق.
- وكان سهلا لين الجانب ﷺ.
- ومن صور رفقه ﷺ: أنه عندما بال أعرابي بالمسجد كاد الصحابة أن يهموا به، فقال ﷺ: **"دعوه، ولا تُزْرِمُوهُ"** [أي لا تؤذوه بحبس بوله ثم قال ﷺ] **"إنَّ هذِه المَساجِدَ لا تَصْلُحُ لِشيءٍ من هذا الأذى"** وأمر ﷺ بذَنُوبٍ مِن مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عليه، ثم قال الرجل: اللهم اغفر لي ولمحمد ما تغفر لأحد معنا. [أي أنه رأى كمال رفقه ﷺ] فقال ﷺ: **"لقدْ تَحَجَّرْتَ واسعًا"**
- ومن صور رفقه أيضا: ما جاء في قصة الصحابي الذي عطس في الصلاة، فشمّته الآخر فقال: "يرحمك الله"، فرمقه الصحابة بأبصارهم، فقال: ما لكم تنظرون إلي، فأخذوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم [يسكتونه]، ثم لما قضى النبي ﷺ صلاته قال الصحابي: "والله ما رأيت خيرا من معلم" ثم قال له النبي ﷺ: **"إنَّ هذِه الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شيءٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ"**.
- وصفة رفقه ﷺ كثيرة جدا، منها أيضا رفقه بأهل بيته، وخدمه [سيأتي بعض الأحاديث في صفاته الأخرى]

٧- حلمه ﷺ:

والحلم: هو ضد الغضب فكان ﷺ حليما غاية الحلم.

- ومن حلمه: أنه ﷺ لم يكن ينتقم لنفسه، بل يعفو ويصفح [كما مر في صفة العفو] تقول عائشة ﵂"مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لله".

- ومن حلمه ﷺ: حلمه بذاك الرجل الذي جذب رداء النبي ﷺ، حتى أثّر الجذب في منكبه ﷺ، وقال: أعطني من مال الله، فالتفت إليه النبي ﷺ وهو يضحك [وهذا من كمال حلمه ﷺ] يقول أَنَس ﷺ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ [نوع من الألبسة] نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً [أي جرّه]، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"

- ومن حلمه أيضا: ما جاء في حديث أنس ﷺ قال "خَدَمْتُ النبيَّ ﷺ، عشرَ سنين بالمدينةِ، وأنا غلامٌ، ليس كلُّ أمري كما يشتهي صاحبي أن أكونَ عليه، ما قال لي فيها: أفٍّ قطُّ. وما قال لي: لِمَ فعلتَ هذا؟ أو أَلَا فعلتَ هذا" [وهذا من كمال حلمه، وأنه راع حال هذا الصبي والخادم الصغير، وليس مرة أو مرتين بل عشر سنين] [و"أف" أقل كلمة تطلق على التضجر، فلم يسمع من النبي ﷺ ذلك].

- ومن حلمه أيضا ما وقع مع أنس ﷺ: لما أرسله النبي ﷺ إلى حاجة، قال أنس: وجدت الصبيان يلعبون، فجلس يلعب معهم، قال فلم أشعر إلا والنبي ﷺ يُمسك بأذني ويقول: **"يا ذا الأذنين، ماذا فعلت؟"** هذا النبي ﷺ يرسله في حاجة يريدها، وهو يذهب ويلعب، ومع ذلك النبي ﷺ ما غضب ولا ضرب ولا نهر، وإنما مازحه بـ"يا ذا الأذنين" ثم أكد عليه في الذهاب إلى الحاجة التي أرسله فيها.

٨- زهده ﷺ:

- فإن النبي ﷺ كان زاهدا في الدنيا، لا يبالي بها؛ لأنها دار ممر، وقد جاء تشبيهها في الحديث: عن النبي ﷺ **"أن الدُّنيا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم تركها"** هذه حال الدنيا مهما طالت العمر، ومهما كثر ماله وجاهه وولده.

- ومن زهده في الدنيا: أن النبي ﷺ كان يمر به الشهر والشهرين، ولم يوقد في بيته ناراً، وغالب طعامهم الأَسْوَدَانِ: التمر والماء، كما قالت عائشة ﷺ: "إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ،

لَنَمْكُثُ شَهْرًا ما نَسْتَوْقِدُ بنَارٍ، إنْ هو إلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ". ثم ذكرتْ أن النبي ﷺ كانت له جِيرَانٌ مِنَ الأنْصَارِ، كانَ لهمْ مَنَائِحُ [أي غنم يعطون النبي ﷺ من حليبها]، وكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن أبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ.

- وجاء في الحديث أنه ﷺ "ما شبع من خبز الشعير" أي أنه مات وهو لم يأكل ويبلع به الشبع من خبز الشعير، وخبز الشعير الآن لا يستخدمه إلا أقل الناس.
- بل أن النعمان بن بشير ﷺ يقول لأصحابه: "ألستم في طعام واشراب ما شئتم؟، لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدفل، ما يملأ به بطنه" [والدقل: هو رديء التمر] فالنبي ﷺ ما يجد هذا التمر الصغير الرديء، ما يملأ به بطنه.
- ولذلك من زهده في الدنيا: أنه ﷺ ما ترك تركة بعد موته، كما عند البخاري عن عمرو ابن الحارث ﷺ قال: "ما تَرَكَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، ولَا دِرْهَمًا، ولَا عَبْدًا، ولَا أمَةً، إلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كانَ يَرْكَبُهَا، وسِلَاحَهُ، وأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً". فتركته: بغلة، وسلاحه، وأرض جعلها صدقة، وهذا من كمال زهده، وهو النبي الأكرم ﷺ.
- ولذلك عمر ﷺ لما دخل على النبي ﷺ في العلية، لما هجر نساءه، فرأى أن الحصير قد أثّر في جنب النبي ﷺ، ورأى خزانته وليس فيها إلا قبضة من شعير، وقربة بالية، فبكى عمر ﷺ، فقال ﷺ: **"ما يبكيك؟"** قال: أنت في هذا الحال، وكسرى وقيصر في الأنهار والقصور، فقال له ﷺ: **"أما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا، ولَنَا الْآخِرَةُ"**
- والأحاديث في بيان زهده ﷺ في الدنيا، وعدم الالتفات لها كثيرة جدا.

٩- إيثاره ﷺ على نفسه:

الإيثار: هو أن يترك الأمر لغيره.

وهذا الإيثار إنما يكون في أمور الدنيا، لا في الأمور الشرعية المتعلقة بالآخرة [بمعنى أن الإنسان لا يُؤْثِرُ غيره بالطاعة مثل من يأتي للصلاة في الصف الأول ويُؤْثِرُ غيره به؛ فإن

الأمور الشرعية لا يؤخذ بهذا]، أما أمور الدنيا فالنبي ﷺ لا يستأثر بها من الناس، بل كان يؤثر غيره عليها.

- ومن ذلك: إيثاره ﷺ للبردة التي طلبها منه الرجل مع حاجته إليها، كما في حديث سهل بن سعد ﷺ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ، مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا [أي يصف البردة ويسمى شملة]. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا [أي إنما صنعتها وخِطتها لك]، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِيهَا [أي أعطنيها]. فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ [أي دخل بيته فإنه كان إزاره] فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ [أي إلى هذا الرجل الذي طلبه]، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ [أي الصنيع]، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا [أي أنت سألته وهو ﷺ محتاجا إليها، وتعلم أنه ﷺ لا يرد سائلا من كرمه ﷺ]. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ ﷺ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ [أي أراد أن يتبرك بأثر النبي ﷺ لما لبسه النبي ﷺ ومسّت جسده الشريف]

١٠- حكمته ﷺ:

والمقصود بالحكمة: هي وضع الشيء في موضعها.

- وقد كان ﷺ حكيما في أموره كله.
- فكان حكيما في أمره ونهييه.
- وحكيما في مراعاته لحال أصحابه، من ذلك أن ﷺ كان يتخولهم بالموعظة كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ "كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة" أي يختار الوقت المناسب للوعظ.
- وحكيما في إنكاره المنكر.

- وحكيما في تعليم الجاهل. وأيضا من حكمته في تعليم الناس ودعوته: موقفه مع الرجل الذي يستأذن في الزنا، كما في حديث أبي أمامة ﷺ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ ﷺ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ [أي يحلف أنه لا يحب هذا الأمر]، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ : لَا وَاللهِ ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. [أي ببركة دعاء النبي ﷺ] ولاحظ كيف تعامل النبي ﷺ مع هذا الشاب.
- ومن حكمته ﷺ: تعامله مع الرجل الذي بال في المسجد فقال ﷺ: **"دعوه، ولا تُزْرِمُوهُ"** حتى قال الرجل: اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا.
- وكان حكيما في مراعاة المصالح والمفاسد مثل ما وقع له ﷺ من تركه إعادة الكعبة على بناء إبراهيم عليه السلام، يقول علي ﷺ في قصة قريش: لَمَّا أَنْ هُدِمَ الْبَيْتُ بَعْدَ جُرْهُمٍ؛ بَنَتْهُ قُرَيْشٌ ، فَلَمَّا أَرَادُوا وَضْعَ الْحَجَرِ تَشَاجَرُوا فِي مَنْ يَضَعُهُ، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَضَعَهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ [أي بَابِ بَنِي شَيْبَةَ]، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، فَأَمَرَ بِثَوْبٍ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ ، وَأَمَرَ كُلَّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذَ بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ فَيَرْفَعُوهُ [حتى بلغوا مكان الحجر]، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ [وهذا من كمال حكمته أنه أصلح بين قريش في الجاهلية حتى كادوا يقتتلون]
- ومن حكمته في مراعاة المصالح والمفاسد: أنه ﷺ قال لعائشة ﷺ: "لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بكفر، لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ، ولجَعَلْتُ لها بابَيْنِ: بَابًا يَدْخُلُ منه النَّاس، وَبَابًا يَخْرُجُ منه" [أي لهدمها وأعاد على بناء إبراهيم؛ لأن قريش اشترطت على نفسها لما بنت

الكعبة: ألا تدخِل فيه مالا إلا حلالا، فقَصُرَت النفقة، فوضعوا القوس المسمى بالحجر إسماعيل، دلالة على أنه من بناء البيت، ثم إن عبد الله بن الزبير هدم الكعبة، وأعادها على بناء إبراهيم، ثم لما دخل الحجاج وهدمها بالمنجنيق، وأعاد بناءها على بناء قريش، وإلى الآن بقي على هذا البناء اليوم]، ولذلك النبي ﷺ أخذ بيد عائشة رضي الله عنها فقال لها: "أتريدين أن تصلي بالبيت؟" أو هي طلبت ذلك، فأخذ ﷺ بيدها وأدخلها الحجر، وقال: **"صل هنا، فإنه من البيت"** وهذا فيه توسعة على الأمة؛ لأن كل الناس تَشْرَئِبُّ قلوبهم إلى الصلاة في جوف الكعبة، لكن لا يستطيع كل أحد الصلاة في الكعبة، ولذا الصلاة الحجر كالصلاة في جوف الكعبة

إذن من حكمة النبي ﷺ في درء المفاسد أنه ترك تغيير بناء الكعبة خشية الردة؛ لأن الناس كانوا حديث عهد.

١١- توسطه واعتداله ﷺ:

- فكان وسطا في كل شيء.
- وكان ينهى عن الغلو والتنطع، كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ **"هلك المتنطعون"** وكررها ثلاثا، وجاء في الحج أنه ﷺ نهى عن الغلو في الرمي فقال: **"أيها الناس بمثل هذا فارموا، إياكم والغلو في الدين، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ من كانَ قبلَكُمُ الغلوُّ في الدِّينِ"**.
- ومن توسطه واعتداله ﷺ: كان صلاته قصدا وخطبته قصدا [أي وسطا بين الإطالة والتقصير] ولذلك جاء في الحديث كما عند مسلم: **"إن من مئنة الرجل** [أي فقهه] **قصر خطبته، وطول صلاته"** [والمقصود بالقصر هنا: القصر النسبي غير المخل]
- ومن توسطه واعتداله ﷺ: أنه كان معتدلا في عبادته، وكان يأمر بالقصد في العبادة، والتوسط فيها، كما جاء في الحديث **"إن الله لا يمل حتى تملوا"**، وحث على المداومة في العمل وإن قل، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ

إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا [أي رأوا أنها قليلة]، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا [أي لا ينام ويجعل الليل كله قياما]، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**". وهذا فيه توسطه واعتداله، فكان وسطا في العبادة، ومع ذلك كان أتقى الناس، وأذكى الناس، وأقربهم إلى الله ﷻ،

د– هدي النبي ﷺ وتعامله مع الناس، أو ما يسمى بلسان العصر: العلاقات الاجتماعية

[أي مع زوجه، وأولاده، وأقاربه، وجيرانه، وخدمه ومواليه، وعموم الناس حتى مع أعدائه ﷺ]:

١– تعامله ﷺ مع زوجاته.

- كان خير الناس مع أهله. كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال "**خَيْرُكم خَيْرُكم لِأَهْلِه، وأَنا خَيْرُكم لِأَهْلي**". وهذا ينبغي أن يكون عليه المرء المسلم ولا خير في رجل يكون خيرا مع الناس وليس مع أهله.
- ومن تعامله ﷺ مع أهله وحسن عشرته لهم: أنه كان يساعدهم في أعمال البيت، سأل الأسود عائشةَ رضي الله عنها"ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله – تعني خدمة أهله– فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة" رواه البخاري.
- ومع كثرة نساءه إلا أن النبي ﷺ يحفظ حقهن ويلاطفهن في التعاون معهن، تقول عائشة رضي الله عنها"كان رسولُ الله ﷺ لا يُفَضِّلُ بَعْضَنا على بَعضٍ في القَسْمِ، مِن مُكْثِه عِندَنا، وكان قَلَّ يومٌ إلَّا وهو يَطوفُ علينا جميعًا، فيدنُو مِن كُلِّ امرأةٍ مِن غيرِ مَسِيسٍ، حتى يَبلُغَ إلى

التي هو يومُها فيَبِيتُ عِنْدَها" رواه أبو داود. [مِن غيرِ مَسِيسٍ: أي من غير جماع] وهذا من حسن عشرته ﷺ، فكان يمر على جميع نسائه، حتى يصل إلى التي في يومها فيمكث عندها. وهذا جاء عنه ﷺ أنه كان بعد العصر.

- كانَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكانَ إذَا قَسَمَ بيْنَهُنَّ، لا يَنْتَهِي إلى المَرْأَةِ الأُولَى إلَّا في تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ في بَيْتِ الَّتي يَأْتِيهَا ﷺ.
- وجاء أيضا أنهن كن يجتمعن في بيت له، فيقسم بينهن، يقول أنس ﷺ: "كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ، لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَ..." [إِلَّا فِي تِسْعٍ: أي تسع ليال]
- ومن حسن عشرته ولطفه أنه ﷺكان ودودا مع أهله، ومن ذلك أنه شرب من الموضع الذي شربت منه عائشة ﷺ من القدح.
- وجاء أيضا أنه ﷺ وضع ركبتيه لزوجه صفية ﷺ حتى تركب على البعير كما عند البخاري. [أي يشق عليها الصعود على البعير فوضع ركبته لها حتى تصعد عليه].
- وجاء أيضا أنه ﷺ اغتسل مع بعض أزواجه من إناء واحد، كما في حديث أم سلمة ~ وحديث ميمونة ﷺ وحديث عائشة ﷺ. تقول عائشة ﷺ:"كُنْتُ أغْتَسِلُ أنَا ورَسولُ اللهِ ﷺ مِن إنَاءٍ بَيْنِي وبيْنَهُ واحِدٍ، فيُبَادِرُنِي حتَّى أقُولَ: دَعْ لِي، دَعْ لِي".
- وكان ﷺ يلاعب أزواجه، ويضاحكهن، فسابق عائشة مرة؛ فسبقته، فلما حملت اللحم [أي زادت وزنها] بعد مدة سابقها؛ فسبقها وقال لها ﷺ **"هذه بتلك"**
- وكان ﷺ يضطجع مع أهله ويلتحف معهم بلحاف واحد، حتى في حالة الحيض، وكما ورد ذلك عن أم سلمة وميمونة رضي الله عنهن، على خلاف حالة اليهود الذين يفارقون النساء في حال الحيض.
- ولما رأى النبي ﷺ لعبا لعائشة وفيها خيل لها جناحان فقال لها النبي ﷺ **"ما هذا؟ فرَسٌ لها جَناحانِ؟"** قالَت: أوَ ما سَمِعتَ أنَّهُ كانَ لسُلَيمانَ بنَ داودَ خيلٌ لَها أجنِحَةٌ فضحِكَ

رسولُ اللهِ حتَّى بدَت نواجِذُهُ ﷺ [أي أنه كان يراعي حال صغر سن عائشة ﷺ أنها كانت لها لعبة.]

- وكان ﷺ من حسن عشرته مع أهله وتعامله معهم: أنه كان يعرف أحوالهن في الغضب والرضا، فكان يقول لعائشة "**إنِّي لَأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**"، قالَتْ عائشة: مِن أيْنَ تَعْرِفُ ذلكَ؟ فقالَ: "**أمَّا إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، فإنَّكِ تَقُولِينَ: لا ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لا ورَبِّ إبْراهِيمَ**"، فقالت عائشة رضي الله عنها: أجَلْ، واللَّهِ -يا رَسولَ اللَّهِ- ما أهْجُرُ إلَّا اسْمَكَ.

- ومن كمال تعامله مع أهله: حُسن عهده مع زوجه خديجة رضي الله عنها مع أنها ماتت قديما، إلا أن النبي ﷺ كان يذكرها ويحفظ حقها. حتى قالت عائشة رضي الله عنها: "مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ" لكثرة ما يذكرها النبي ﷺ.

حتى إن هالة أخت خديجة لما استأذنت على النبي ﷺ تغير وجهه ﷺ، لأنه عرف صوتها باستئذان خديجة.

وكان يذبح الشاة فيفرقها في صدائق خديجة، وهذا من تعامله مع أهله، وحسنه وفائه لهن، حتى بعد موتها.

- وبيته ﷺ -بيت النبوة- هو أكمل البيوت ومع ذلك لم يسلم من المنقصات والمشكلات، لكن النبي ﷺ كان يحلها ويعالجها بالصبر وبالترافق، ومن ذلك ما وقع في قصة عائشة رضي الله عنها حينما كسرت القصعة فلم نجد النبي ﷺ إلا أن قال: "**غارت أمكم غارت أمكم**". ثم جمع الطعام وقال "**كلوا**"، ثم قال لعائشة "**طعام بطعام وإناء بإناء**"، فضمّنها الإناء المكسورة.

٢- تعامله ﷺ مع أولاده.

- كان يحب أبناءه ويفرح بقدومهم، فإن أولاده كلهم توفوا وهم صغار، ولم يبقى إلا بناته وكلهن توفين في حياته ﷺ إلا فاطمة رضي الله عنها ، يقول عائشة رضي الله عنها "ما رأيتُ أحدًا كانَ أشبَه

سمتًا وَهديًا ودلًّا برسولِ اللَّهِ ﷺ من فاطمةَ، وكانت إذا دخلت عليهِ قامَ إليها، فأخذَ بيدِها وقبَّلَها، وأجلسَها في مجلسِه، وَكانَ إذا دخلَ عليها قامت، فأخذت بيدِه فقبَّلتهُ، وأجلستهُ في مجلسِها".

- وجاء أيضا في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: **"مَرْحَبًا بابْنَتي"**، ثُمَّ أجْلَسَهَا عن يَمِينِهِ، أوْ عن شِمَالِهِ" رواه البخاري ومسلم.

- وكان ﷺ يهتم بمرض أولاده فلما مرضت ابنته رقية رضي الله عنها وهو يريد الخروج لغزوة بدر؛ أمر زوجها عثمان رضي الله عنه أن يمكث عندها ويمرّضها، وقال له: **"إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهما"**. فعثمان رضي الله عنه وإن لم يشهد بدرا إلا أنه معدود في أهل بدر ﷺ لقول النبي ﷺ وذكر له أن له أجر من شهد بدرا، وسهم من شهد بدرا.

- ومن تعامله مع أولاده: أنه ﷺ كان يعلمهم وينكر عليهم إذا وقعوا في الخطأ، ومن ذلك: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ، فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا مَوْشِيًّا**» [أي سترا فيه نقش]، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا**» فَأَتَاهَا عَلِيٌّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لِيَأْمُرْنِي فِيهِ بِمَا شَاءَ، قَالَ: «**تُرْسِلُ بِهِ إِلَى فُلاَنٍ، أَهْلِ بَيْتٍ بِهِمْ حَاجَةٌ**» وهذا فيه أن النبي ﷺ كان يعلم أولاده التزهد والتقلل في الدنيا، وهذا الستر المنقوش المستور على الباب من غير حاجة، فكره النبي ﷺ أن يتعلق أبناءه بالدنيا، ولذلك لم يدخل على فاطمة عندما رأى الستر.

- ومن ذلك أيضا: لما أوتي النبي ﷺ بسبي، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها وأنها تريد خادما من هذا السبي، وأن الرحى أثرت في يدها، فجاءها النبي ﷺ -وقد اضطجعت هي وعلي رضي الله عنه- فجلس بينهما، وقال لهما: **"أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ"** وهنا يلاحظ أن النبي ﷺ عنده سبي وهذه ابنته وأحب الناس إليه، ومع ذلك ما أعطاها النبي

ﷺ من هذا السبي؛ وهذا كله لأن النبي ﷺ لا يريد أن يعلق أولاده بالدنيا، وإنما يريد أن يعلقهم بأمر الآخرة.

- كان ﷺ رحيما بأحفاده وأولاده فكان يقبّلهم ويحبهم، ومن ذلك ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ يعتنق الحسن ويقول: **"اللهم إني أحبُّه فأحبَّه. وأحبب من يحبه"**.

وكان يحب أبناءه ويقبلهم. يقول أبو هريرة رضي الله عنه: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**».

- وكان يلاعبهم ويحملهم، حتى أن الحسن والحسين دخلا والنبي ﷺ يصلي بالناس فركبا على ظهره ﷺ وهو ساجد، فأطال في السجود، فرفع بعض الصحابة بصره، فاذا هما قد ارتحلا وركبا النبي ﷺ [أي جعله كالراحلة] ثم أطال السجود حتى قنعا من اللعب، فنزلا من ظهره ﷺ.

- ومن ذلك أنه ﷺ حمل أمامة بنت زينب، فحملها ﷺ في الصلاة، فكان يرفعها على عاتقه إذا قام، وإذا ركع وسجد يضعها على الأرض.

- ومن تعامله ﷺ أنه كان يواسي أبنائه ويصبرهم، فلما أرسلت إليه بعض بناته أن ابنا لها يُقبض، أرسل إليها: **"إِنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى"**.

- ولما ماتت ابنته ام كلثوم بكى ﷺ، ولما ماتت ابنه إبراهيم بكى ودمعت عيناه وكان يقول: **"إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"**.

٣- تعامله ﷺ مع أقاربه:

- ومن ذلك أن النبي ﷺ كان حريصا على دعوتهم فلما أنزل الله ﷻ {وأنذر عشيرتك الأقربين} [سورة الشعراء:٢١٤]. فصعد النبي ﷺ الصفا وقال «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ،**

اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا» فدعاهم إلى الإيمان.

- ولما حضرت أبا طالب الوفاة كان النبي ﷺ حريصا على إسلامه، وكان يلح ويردد عليه: **"يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله"**

- ومن ذلك أيضا أنه كان حريصا على قضاء حوائج أقاربه وإكرامهم، كما عند مسلم: لما أوتي النبي ﷺ بمال جاءه عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، والفضل ليزوجهما النبي ﷺ فتواكلا الكلام ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُهما فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ" فأعطاهما النبي ﷺ مالا يتزوجان به.

- ولما جاء عمه العباس أذن له بأخذ ما يشاء من المال حتى عجز العباس عن حمل هذا المال الذي أعطاه النبي ﷺ

- ومن حسن تعامله مع أقاربه أيضا: حرصه عليهم فيما يتعلق بأمور الشرع والدين، كما في الصحيحين: أن النبي ﷺقال «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ لاَ أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلاَنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا**» فهو حريص في قضاء حوائجهم مما يتعلق بأمور الدنيا وكذلك حريص على دعوتهم، وحريص على ما يتعلق بأمورهم وهدايتهم مما يتعلق بأمور الآخرة.

٤- تعامله ﷺ مع مواليه وخدمه:

- وقد ضرب النبي ﷺ في هذا أوعظ الأمثلة يقول أنس ﷺ: "خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟"[لاحظ عشر سنين، وأنس ﷺ شاب صغير، ومع ذلك ما سمع من النبي ﷺ أقل

كلمة يدل على التضجر وهي أف، وهذا من كمال خُلقه، وحسن عشرته، وحسن تعامله مع خدمه]

- ومن ذلك أيضا أن النبي ﷺ كان لا يأنف أن يقضي حوائج المسلمين، ولو كانوا من الموالي والعبيد. يقول أنس ﷺ «إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» حتى يقضي النبي ﷺ حاجتها.

- ومن كمال خلقه مع خدمه ومواليه، وكذا مع بيته أن النبي ﷺ لم يضرب أحدا قط، تقول عائشة ﷺ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ» ولا غرر أن يكون هذا خلقه ﷺ؛ لأن الله عز وجل قد زكاه {وإنك لعلى خلق عظيم} مع أن الموالي والخدم قد يقع منهم الخطأ، ومع ذلك النبي ﷺ ما كان يغضب ولا يتضجر ولا يضرب أحدا.

٥- تعامله ﷺ مع جيرانه:

- أما ما ورد في السنة من حفظ حق الجار والوصية به؛ فكثير جدًا، كما في حديث **"ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"** لكثرة ما نزل جبريل على النبي ﷺ بالوصية بحق الجار، فظن ﷺ أن ينزل يوما بجعل نصيبا له في الميراث، بل جاء حفظ حق الجار الذي قد مات.

- ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يصبر على أذى قريش لما ألقوا الأذى على بيته، فخرج ﷺ وقال **"أي جوار هذا؟"** معلوم أن العرب من شيمها حتى في الجاهلية كانوا يعظمون حق الجار، ويرون أن إيذاءه من الأمور العظيمة.

حتى قال عنترة: وَأَغَضُّ طَرفِي ما بَدَت لي جارَتي * * * حَتّى تُواري جارَتي مَأواها

- ومن ذلك أيضا ما جاء عند البخاري: إحسانه ﷺ بجار يهودي، حتى لما مرض ابنه عاده، ثم عرض عليه الإسلام، فقال اليهودي لابنه: أطع أبا القاسم، فنطق بشهادة

ومات هذا الصبي، وهذا فيه أن حسن الجوار يؤثر في الإنسان حتى لو كان كافرا؛ لأن الإنسان كما يكون داعيا بقوله يكون داعيا بفعله وهذا أعظم إبلاغا.

فكان ﷺ يحسن إلى جيرانه ويعودهم حتى ولو كان الجار كافرا.

- ومن حسن جواره أيضا ما جاء عند ابن ماجه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفِّهِنَّ وَيَتَغَنَّيْنَ وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ... يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَأُحِبُّكُنَّ"

٦- تعامله ﷺ مع عموم المسلمين:

- فكان حريصا على قضاء حوائج الناس مهما كان آتيا. كما مر «إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» حتى يقضي النبي ﷺ حاجتها.

- وكما جاء في حديث أنس ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً! فَقَالَ: «اجْلِسِي فِي أَيِّ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ» أي اختاري أي مكان في المدينة تريدين أن أجلس إليك فعلت وقضيت حاجتك.

- ومن ذلك أيضا أنه كان حريصا على تفقد أحوال أصحابه، فلما ماتت المرأة السوداء أو الرجل الذي كان يقوم المسجد ففقده النبي ﷺ فسأل عنه، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «**أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ – أَوْ قَالَ قَبْرِهَا – فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا**» وما استنقص أن يكون الرجل والمرأة خادما عبدا ينظف المسجد.

- وكذلك لما نزلت {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} فمكث ثابت ابن قيس في بيته، وجلس يبكي؛ لأنه كان دوي الصوت، وكان خطيب الأنصار، فخشي أن يدخل في هذه الآية، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فسأل النبي

ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» أي هل هو مريض؟ فالنبي ﷺ كان يتفقد أحوال أصحابه وعموم الناس.

- ومن ذلك أيضا أن النبي ﷺ كان يقضي حوائج الضعفاء والمساكين، ويواسيهم وكان يحرص على الصغار والشاب كما فعل مع ابن عباس قال له: "**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك**..." الحديث.

وكما فعل مع الشاب الذي جاء يستأذن بالزنا فقال له "**ادنوا فدنا**" ثم قال "**هل ترده لأمك؟**" الحديث.

وكما فعل مع مالك بن الحويرث وأصحابه لما قدموا على النبي ﷺ فمكثوا عنده شهرا ثم قال مالك: فلما رأى أنّا قد اشتقنا إلى أهلينا، سأل النبي ﷺ عما تركوا وراءهم، ثم أمرهم بالرجوع وأمرهم بأن يعلموا قومه. وهذا كله من حسن تعامله مع أصحابه ومع عموم المسلمين.

٧- تعامله ﷺ مع أعدائه.

- من ذلك أنه كان حريصا على دعوتهم وهدايتهم فكان يوصي أصحابه إذا أرسلهم جيوشا أن يدعوهم إلى الإسلام قبل الإغارة، كما قال لعلي: "**فإذا أنزلت بساحتهم فادعهم إلى الإسلام**" وكما قال لمعاذ "**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله** ..." الحديث.

- ومن ذلك أنه كان يفي بعهود الكفار ولا ينقضها، كما وقع له مع كفار قريش في صلح الحديبية، فإن النبي ﷺ وفى بعهدهم حتى هم نقضوا العهد.

- وكذلك في غزوة بدر لما أدرك كفار قريش بعض الصحابة في الطريق وكانوا قادمين الى المدينة فأخذوا عليهم الأيمان بألا يقاتلوا مع النبي ﷺ، فلما لقوا النبي ﷺ أخبروه بالخبر، فقال النبي ﷺ "نفي لهم بعهدهم" وأمرهم النبي بالرجوع وعدم المشاركة معه في بدر.

- ومن ذلك أنه ﷺ كان يتعامل مع اليهود في البيع والشراء، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي. وهذا الفعل منه ﷺ لبيان الجواز. وإلا كان يستطيع أن يقترض من الصحابة.
- وكذلك أيضا من تعامله: أنه كان يوصي أصحابه بعدم الغدر في الغزو، وعدم التمثيل بالجثة، وعدم قتل الشيوخ والنساء والصغار كما عند مسلم «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**» وهذا من كمال الإسلام وحسن العهد من النبي ﷺ، وهو في حال حرب مع ذلك إلا أنه يوصي هذه الوصايا العظيمة
- ومن ذلك تركه قتال المنافقين مع أنه كان يعرفهم بأعيانهم، وسموهم لبعض أصحابه، لما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول "ليخرجن الأعز منها الأذل" قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» وهذا حكمة من النبي ﷺ أنه ترك قتال المنافقين.
- ومن تعامله أيضا: ما وقع له مع اليهود قالوا لما مروا به: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «**وَعَلَيْكُمْ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: وعَلَيْكُمُ السَّامُ واللعنة والغضب، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ «**لَا تَكُونِي فَاحِشَةً**» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: "**أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمِ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**" يعني الله ﷻ كفاني شرهم، والنبي ﷺ مجاب الدعوة.

فالنبي ﷺ كان حريصا في دعوة الكفار، وكان حريصا على الوفاء بما عاهدهم عليه من العهود والمواثيق، وكان ينهى عن الغدر، وينهى عن قتل من لا يستحق القتل من الصغار والنساء والشيوخ، وكان يعامل اليهود ويبايعهم، ويعامل المنافقين بالحكمة، ويعاملهم على ما يظهروه من الإسلام؛ لأن المصلحة تقتضي عدم قتلهم، حتى لا يقال إن محمدا يقتل أصحابه، فيترتب على ذلك مفسدة أعظم من صد الناس عن الدخول في الإسلام.

هـ- من الشمائل ما يتعلق بلباسه وآلاته:

فآلات النبي ﷺ: أي ما كان يستخدمه كالسيف والدرع والمغفر والخاتم والفراش والصاع ونحوها

واللباس: ما كان يلبسه ﷺ من الألبسة كالإزار والرداء والعمامة والخف والنعل وغيرها..

وهذه الأمور تدخل في شمائله لان فيها يدخل التعبد، فيؤجر الانسان بفعلها بمتابعة النبي ﷺ في فعله، مثل البدء بلبس النعال باليمين فهي سنة.

ومن آلاته ﷺ:

١- سيفه ﷺ:

- وكان للنبي ﷺ سيفا يسمى ذا الفقار [أي صاحب فقار]، وسمي بذلك لأن فيه فقارا [أي فتحات في وسطه]
- وقد أخذه وتنفّله النبي ﷺ من غزوة بدر.
- ومن صفة سيفه: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «كَانَتْ قَبِيعَةُ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِضَّةً»

والقبيعة هي التي تكون في يد ممسك السيف، أسفل يد السيف من ناحية الممسك. يكون هذا من فضة؛ لأنها أمكن في إمساكه وقبضه وعدم انفلات السيف

وهذا فيه جواز تحلية السلاح بالفضة، وأما الذهب ففيه خلاف مشهور عند العلماء.

- وكان نعل سيفه من فضة أيضا، **ونعل السيف**: هو آخر جراب السيف؛ ويُستخدم فيه الفضة حتى لا ينخرق حد السيف الجراب

٢- درعه ﷺ:

- **والدرع** آلة معروفة تستخدم في الحرب: وهو يلبس في أعلى الجسم [الصدر وما حوله]
- والدروع تكون مصنوعة من حديد.

- ومن ذلك أن النبي ﷺ قد لبس الدرع، يقول السَّائِب بْنِ يَزِيدَ: أَنَّ رسول الله ﷺ كان عليهَ يوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ، قد ظَاهَرَ بَيْنَهُمَا [أي لبسهما فوق بعضهما] وهذا فيه أن لبس الدرع لا ينافي التوكل على الله، وأنه من باب الأخذ بالأسباب.

والشريعة جاءت بالأخذ بالأسباب في أشياء كثيرة، ونفي الأخذ بالسبب؛ يعارض العقل ويعارض الشرع والدين، والشرع والدين، والعقل؛ لا يتعارضان أبدا

٣- مِغفره ﷺ:

- **والمِغفر**: آلة من حديد توضع على الرأس.
- وقد لبسه النبي ﷺ، وهذا أيضا فيه كمال توكله مع فعله للأسباب، فلبسه يقي من السهام.
- وقد لبسه النبي ﷺ في غزوة أُحُد عندما اختلف الصحابة هل يقاتل ﷺ في المدينة أو يخرج للقتال؟ فأشار إليه بعض الصحابة بالخروج، فلما لبس لامته، قالوا: إنكم قد شققتم على رسول الله، فأخذوا يعتذرون منه أن يبقى فقال ﷺ "**إنه لا يحل لنبي أن يحل لامته إذا لبسها**"
- وقد لبسه في فتح مكة كما في الصحيح من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ "دخل مكة يوم فتح وعلى رأسه المغفر". وهذا فيه جواز دخول مكة من غير إحرام لأن لبس المغفر يدل أنه كان حلالا لم يكن محرما.

٤- قدحه ﷺ:

- **والقدح**: هو الإناء الذي يشرب فيه.
- وكان له ﷺ قدح مكسور، وهذا فيه زهده ﷺ في الدنيا وعدم الالتفات له. إذ أن قدحه الذي يشرب فيه كان مكسورا.

- وقد اتخذ مكان الكسر سلسلة من فضة، يقول عاصم الأحول [تابعي]: رَأَيْتُ قَدَحَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَدْ انْصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ بِفِضَّةٍ، قَالَ: وَهُوَ قَدَحٌ جَيِّدٌ عَرِيضٌ مِنْ نُضَارٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: «لَقَدْ سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا القَدَحِ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا»

٥- خاتمه ﷺ: وهذا مما يدخل في لباسه

- فإن للنبي ﷺ اتخذ خاتما.
- وقد تختم النبي ﷺ من ذهب، فتختم الناس من ذهب، ثم رماه ﷺ لما نزل أمر التحريم، ثم تختم بفضة.
- يقول أنس رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَبِسَ خَاتَمَ فِضَّةٍ فِي يَمِينِهِ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ كَانَ يَجْعَلُ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ» الحديث في الصحيحين فكان ﷺ يلبس خاتما من فضة.
- وقد وقع الخلاف هل تختمه في اليمين أو اليسار؟ لوجود الأحاديث بتختمه في كليهما، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن ذلك كله ثابت عنه ﷺ، وأن أسانيده صحيحة، وأن هذا محمول على تعدد الأحوال.
- (فَصٌّ حَبَشِيٌّ) أي مصنوع في الحبشة على صنع أهلها.
- وجاء في حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ خَاتَمُهُ مِنْ فِضَّةٍ وَكَانَ فَصُّهُ مِنْهُ» أي الفص من نفس الخاتم [من فضة].

وبعض الشراح يفسر قوله "حَبَشِيٌّ" أن الخاتم من فضة، وأن الفص وُضع من حجر يُجلب من الحبشة إما عقيق ونحوه.

وهذا فيه بعد. لمعارضة الحديث " وَكَانَ فَصُّهُ مِنْهُ "

والجمع بين هذا: أن قوله "حَبَشِيٌّ" أي في الصيانة والصياغة على طريقة أهل الحبشة، لا كونه حجرا آخر غير الفضة.

- وكان هذا الفص (مِمَّا يَلِي كَفَّهُ) أي من الأسفل وليس من الأعلى كما هو حال اليوم.
- وجاء أيضا في حديث أنس ﷺ «كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللَّهِ سَطْرٌ»

يقول الحافظ في الفتح" وأما قول بعض الشيوخ: إن كتابته كانت من أسفل إلى فوق، يعني أن الجلالة في أعلى الأسطر الثلاثة ومحمد في أسفلها؛ فلم أر التصريح بذلك في شيء من الأحاديث، بل رواية الإسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك؛ فإنه قال فيها: محمد سطر، والسطر الثاني: رسول، والسطر الثالث: الله.

وليس في هذا محظور شرعي كون لفظ الجلالة في أسفل السطر

- **س**/ هل التختم سنة أو لا؟ اختلف أهل العلم بناءً على سبب التختم:
  - فالذين قالوا إن التختم لحاجة وأنه ﷺ لم يتخذ خاتما، حتى ذُكر له أن الملوك لا يقبلون الكتب إلا إذا كانت مختومة، فاتخذ خاتما فقالوا: إن هذه للإباحة وليس للاستحباب.
  - وأما من قال إن تختمه من باب التزين والتجمل فرأوا الاستحباب.
  - لكن **الأقرب** والله اعلم أن النبي اتخذه لسبب لا لمجرد الزينة. ولذلك ذكر الفقهاء أن بعض العلماء يرى أنه لا يتختم إلا لحاجة، وكما استحبوه للملوك والخلفاء ونحوهم لمن له سلطة فيحتاجون إليها لرسائلهم وكتبهم.

    فقالوا إن هذا من الأمور المباحات.
- وجاء في حديث آخر أن النجاشي أهدى للنبي ﷺحاتما من ذهب فأعطاه النبي ﷺ لأمامة بنت زينب، وقال **"تحلي بها يا بنية"**. فلم يلبس الذهب لأنه محرم عليه.
- **س**/ في أي إصبع لبسه ﷺ؟ جاء أنه كان يتختم في خنصره، أي: الإصبع الصغير.

٦- عمامته ﷺ:

- **والعمامة:** وهي التي تلف على الرأس وتكور كأهل السودان، وهم أشهر من يلبسونها اليوم.
- والنبي ﷺ قد لبس العمامة.
- وكان في عمامته ذئابة يلقيها بين كتفيه.
- وقد لبس أيضا عمامة سوداء. وهذا يدل على جواز لبس العمامة السوداء.
- ولبس أيضا غيره من الألوان.
- يقول عمرو بن حريث ﷺ" «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ» أي أن لها ذوابة.

٧- إزاره ﷺ:

- **والإزار:** هو ما يلبس في أسفل البدن.
- والنبي قد لبس الإزار والرداء. [معروفة كالإحرام].
- ولبس أيضا قميصا: وهو ما يستر جميع البدن كثيابنا اليوم [أي ما يلبس من أعلى الرأس إلى الأسفل، ويستر جميع البدن، ويكون له أكمام].
- وكذلك لبِس الحُلة: وهو كل ثوب من قطعتين. إما إزار ورداء، وإما إزار وسراويل، وإما رداء وسراويل، وإما إزار وقميص.
- وكان ﷺ إزاره غليظا [أي خشنا، لم يكن لينا ناعما] كما ذكر ذلك أبو بردة قال: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً مُلَبَّدًا، وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ» [هذا يدل على ما كان عليه النبي ﷺ من شدة العيش فإنه لم يكن عنده ألبسة ناعمة، وكذلك الأعرابي الذي جذب رداء ﷺ فأثر جذبه على عاتق النبي ﷺ من خشونة ردائه].

- وأخبر ﷺ أن «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ»

- وكان ﷺ ينهى عن إرخاء الثوب والإزار، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّتِي، تُحَدِّثُ عَنْ عَمِّهَا قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمشِي بِالْمَدِينَةِ، إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي يَقُولُ: «**ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَإِنَّهُ أَتْقَى وَأَبْقَى**» فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءُ قَالَ: «**أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟**» فَنَظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ.

- وجاء النهي في السنة عن إرخاء الثوب والإزار إلى ما أسفل من الكعبين، وأنها محرمة، فقال ﷺ "**ما أسفل من الكعبين ففي النار**".

- وجاء أيضا الوعيد الشديد لمن جره خيلاء، ولا يحمل هذا من باب المطلق على المقيد، فإن "من جره خيلاء لم ينظر الله إليه" وهي جرم ومصيبة أعظم وكبيرة من الكبائر.

ومن جره بغير خيلاء وكبر فهي ذنب آخر وصاحبه متوعد بالنار.

والسنة أن يكون إزاره نصف ساقيه إلى ما فوق الكعبين [أي ما بينهما].

- وأما قول بعض الفقهاء المعاصرين: أن السنة في الإزار فقط أن يكون بنصف الساق، ولا يدخل الثوب والقمصان؛ فهذا بقول بعيد؛ لأنه قد جاء عن ابن عباس ﷺ أو ابن عمر ﷺ قال "ما قال رسول الله ﷺ في الإزار فهو في القمص والسراويل". أي أن الحكم واحد، فنصف الساق ليس خاصا بالإزار.

- وجاء عن بعض السلف من التابعين: أنه لما دخل على بعض الفقهاء، فرأوا إزاره بنفس ساقيه، فقالوا: ما هذه الشهرة؟ [أي يقصد به أنه كان يلبس إلى نصف ساقيه] فقال لهم: "أنتم قد جعلتموه شهرة لما تركتم سنة نبيكم" أي لما ترك الناس السنة أصبحت هذه شهرة وإلا فالأصل أن هذه من الأمور الشرعية التي جاءت في الأحاديث.

ولا يقال إن هذا من باب الشهرة فإن سنة النبي ﷺ لا يقال فيها الشهرة.

والقاعدة أن كلما كان من أمر شرعي فإنه لا يدخل في حد الشهرة.

- وحد الشهرة: تدخل في المباحات فلا يقال إن اللحية في أماكن يكون شهرة، ثم إن الشرع جاء بالتوسط في هذه الأمور فجاء أن إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه، وجاء التحذير من الزيادة فوق العضلة الخلفية حتى لا يغلو، وجاء الشرع بإباحة الثوب إلى ما فوق الكعبين. وأما ما دونهما فهم محرم.

- وهذا التحريم على قسمين:

  - إما أن يكون محرما: لمن لم يقصد شيئا، لكن جره خيلاء؛ فهذا جاء عنه ﷺ "ما أسفل من الكعبين ففي النار

  - وإما أن يكون فيه شيء من الخيلاء؛ فهذا جرم أعظم، وقد جاء في الحديث "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه".

  ولا يقال أن هذا من باب حمل المطلق على المقيد كما يقوله بعض الفقهاء: ويرون أن التحريم لأجل الخيلاء.

  لكن هذا القول فيه بعد؛ لأن كل حديث جاء بوصف مقيدة فليس من باب حمل المطلق على المقيد، كما أنه جاء في أحاديث "كل إسبال فهو مخيل" وهذا فيه دليل على تحريم الإسبال على وجه الإطلاق، فإن كل إسبال ثوب؛ أحد أهم أسبابه هو الخيلاء.

- **مسألة:**

– قد يقول بعض طلبة العلم: أنه قد يترتب على تطبيقه لنصف الساق من نفرة الناس مثل: أن يكون في قوم السنة تكاد أن تكون فيها مهجورة.

فيقول: لو فعلت هذا قد يترتب عليه نفرة الناس أو نحو ذلك، وأنا من باب تأليف قلوبهم لا أسبل لكن لا أقصر ثيابي كثيرا.

فنقول: إن كانت هذه مصلحة معتبرة ففعله صحيح؛ لأنه أصلا ما وقع في الحرام بل فعله دائم بين الجواز والسنية.

- وكذلك لو قال: إنه يخشى على نفسه العجب لا سيما وأن من يقصر ثيابه إلى نصف الساق قليل حتى بين طلبة العلم.

فيقول: قد أشعر في نفسي شيء من الفرح بها ويخشى على نفسه العجب أو الغرور أو نحو ذلك فيتركه أحيانا.

فنقول: إن فعله أيضا لا حرج فيه لكن لا ينبغي لطلبة العلم ترك السنة على وجه الإطلاق، بل طالب العلم إذا رأى من يطيق السنة يفرح ويحبه في ذات الله؛ لأن هذه سنة النبي ﷺ وقليل من يفعلها.

- الأصل في الألبسة ألا تكون محرمة، وأن يسير الإنسان في عرف بلده.

٨- خفه ﷺ:

والخف: هو ما يلبس على القدم، وغالبا يكون من جلد.

ويسمى خف، أو جُرموق في لغة العرب، لكن جاء في الحديث وصفه بالخف إن كان من الجلد، وإن كان من غيره كالقماش ونحوها فيسمى جوربا.

- والجوارب يجوز المسح عليها؛ لورودها في الحديث "فأمرهم أن يمسحوا على العصائب والتساخين" والجورب نوع من أنواع التساخين؛ لأن كل ما تُلفّ به الرجل لتدفئتها وتسخينها يسمى تساخين ومنه الجورب.

- فالنبي ﷺ: لبس خفين، جاء عند أبي داود من حديث بريدة "أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما".

٩- نعله ﷺ:

والنعل: ما يلبس على القدم أو الرجل مما يقي البدن من الأرض.

جاء عند البخاري عن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان، فحدثني ثابت البناني بعد، عن أنس أنهما نعلا النبي ﷺ.

"**جرداوين**": ليس فيهما شعر وإنما هي من جلد مدبوغ.

"**قبالان**": شراك النعل والسير، والسير: الذي تدخل فيه الرجل في الإصبع ويمسك القدم أثناء المشي.

١٠- صاعه ومده ﷺ:

والصاع: هو مقياس بالكيل، والمد مثله.

المد: فهو ملء الكف، والكف هنا كف الرجل المتوسط.

والصاع ثلاثة أمداد.

- قد يقال: لو جئنا بالصاع وجعلت فيه ثلاثة أمداد؛ ما بلغ نصفه.

والسبب في هذا: أن النبي ﷺ أخبر عن قصر الخلق في آخر الزمن، والقصد هنا هو الخلق المتوسط الذي خُلق عليه النبي ﷺ وأصحابه، فإن الصاع يملأ بملء الكف ثلاث مرات.

- يقول أنس رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد" أي صاع وزيادة.

وهذا فيه أن النبي ﷺ لم يكن يسرف، وفيه أنه يكتفي بإمرار الماء وإفاضته على البدن من غير اشتراط الدلك والتحريك باليد كما يشترطه بعض الفقهاء؛ لأن كونه يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع لا يدل على أنه يدلكه.

١١- فراشه ﷺ:

جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: "كان فراش رسول الله ﷺ من أدم، وحشوه من ليف".

"**الأدم**": أي من جلد.

"**الليف**": هو نسيج رقيق يلف ويحيط سعف النخيل، لذا جاء في الحديث "شجرة مباركة" فهي يستفاد من جميع أجزاءها حية وميتة.

دلائل النبوة ﷺ

وهي كثيرة جدّا، وهي أصعب من أن تحصى حتى ذكر بعض أهل العلم أنها تزيد على ألف دليل وآية.

ومنها أمور عامة كلية وهي خمسة أمور، وسنتناولها بالتفصيل وإلا فهي كثيرة والأمثلة تحت هذه الخمسة كثيرة جدّاً وهذه الأمور:

١- إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه ﷺ.

٢- الآيات والمعجزات التي وهبها الله عز وجل له ﷺ.

٣- القرآن الكريم.

٤- الغيوب التي أخبر عنها ﷺ، وتحققت في حياته أو بعد وفاته أي: الأمور الغيبية.

٥- سيرته وأخلاقه وأحواله الدالة على كمال نبوته: ويلاحظ في هذه أن فيه استدلال بالشمائل على الدلائل وقد ذكرنا أمراً عامّا أن الشمائل والدلائل والخصائص بينها تدخل كبيرة وإن كان يُمايز بينهما.

أولا: إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه ﷺ:

- إن الأنبياء السابقين بشروا وأخبروا ببعثة النبي ﷺ في آخر الزمن، وهذا الأمر متقرر في كتب من سبقنا، وقد أخبر القرآن عن ذلك قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} فأخبر ربنا أن نبينا ﷺ موجود في كتب التوراة والإنجيل.
- مدح أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل أخبر سبحانه كما في سورة البقرة أن أهل الكتاب يعرفون النبي ﷺ حق المعرفة ومتيقنون من نبوته أشدّ من تيقنهم من نسب أبنائهم، فقال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ

يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} وما منعهم إلا الحسد من الإيمان بالنبي ﷺ؛ لأن اليهود كانت تدعي الشرف، وأنهم أبناء الله وأنهم شعبه المختار فأنفوا أن يبعث نبي من غيرهم.

- وقد جاء أيضاً وصف نبينا ﷺ في كتبهم كما ذكر القرآن في سورة الفتح ، فقال تعالى:{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ} فهذه صفتهم التي وصفوا بها في كتاب اليهود، ثم قال تعالى:{وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}

  فهذا وصفهم في الإنجيل.

- وقد أخبر الله عز وجل عن عيسى عليه السلام أنه بشّر بنبينا ﷺ فقال: {ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

- وكُتُب أهل الكتاب اليوم مع كثرة تحريفها إلا أنه يوجد فيها بقايا من الإشارة إلى نبوة نبينا ﷺ.

  - فما هو موجود بين اليهود والنصارى المسمى بالعهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) فالعهد القديم كلها متعلق -إن صحّ التعبير- بالأحكام والعقائد والعهد الجديد كلها في الوعد.

  - ولذلك النصارى لا يمكن أن يستغنوا عن التوراة، وأما اليهود فلا يعترفون بالعهد الجديد.

  - **الشاهد من هذا:** أن هذا الكتاب اليوم محرف ونحن نؤمن بتحريفها والمرسل فيه، وفيه بعض البقايا من الحق الذي جاء به الأنبياء والرسل، وفيه إشارة إلى نبوة نبينا ﷺ.

- ومما ورد أيضاً في خبر أهل الكتاب: قصته ﷺ قبل البعثة مع بحيرى الراهب، وذلك أنه لما خرج ﷺ مع عمه أبي طالب في الشام للتجارة، فخرج عليهم الراهب فأخذ بيد الرسول وقال: (هذا

سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين) وخبر قصة بحيرى أورده الترمذي وقال: "حسن غريب" وفيه خلاف طويل بين أهل العلم في بعض ألفاظ هذا الخبر وطرقه وروايته.

الشاهد من هذا الخبر: أن هذا الراهب عرف النبي ﷺ بصفاته؛ لأنه موصوف في كتب أهلا الكتاب، فلما رآه عرفه، وأخبر عمه أبا طالب أنه الرسول الذي يوشك أن يبعث لكن مع وضوح البراهين لعمه أبي طالب ومحبته للنبي ﷺ إلا أنه غلبه أصحاب السوء، وغرّته الكلمة المشهورة: الرغبة عن دين الآباء والأجداد، فقيل له: "أترغب عن ملة عبد المطلب؟". يعني إنسان يعرف الحق ويأبى بقبوله حتى لا يتكلم الناس فيه بعد وفاته –وهذا في الحقيقة أعظم الخذلان والكبائر– أخبر النبي ﷺ: "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" وأخبر ﷺ: "أنه أهون أهل النار عذاباً".

وهو صاحب القصيدة المشهورة في مدح النبي ﷺ – وهي من أحسن القصائد في مدح النبي وبيان دينه الحق.

الشاهد: أن بحيرى الراهب أخبر أبا طالب أن هذا الرسول الذي سيبعث، وإنما عرفه لوجود وصفه في كتب من سبقنا من وصف النبي ﷺ.

- ومن ذلك أيضاً: خبر إسلام عبد الله بن سلّام ﷺ، وقد كان من كبار أحبار اليهود، وذلك لما أراد أن يسلم قال للنبي ﷺ: "إن اليهود قوم بُهت فجيء بهم فاسألهم عني، فأدخله النبي ﷺ وجاء اليهود فسألهم ﷺ عن عبد الله بن سلام، فقالوا: إنه خيرنا وأفضلنا وأعلمنا، ثم خرج عبد الله وأعلن إسلامه أمامهم وشهد برسالة نبينا ﷺ، فأخذوا يوقعون فيه ويقولون: "شرُّنا وابن شرِّنا" وأخذوا يذمونه) وقد ذُكر قصته في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ [السؤال الأول] وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ [السؤال الثاني]، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ [السؤال الثالث: يسأله عن شبه الولد]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ"** [أي نزل الوحي بالجواب] فَقَالَ عَبْدُ اللهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ [لأنهم يزعمون أن جبريل عدوهم] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ [عبد الله]: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ قَالُوا : أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ قَالُوا : أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَقَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ.

الشاهد من هذا: أن هذا حبر من أحبار اليهود، وعالم من علمائهم، فسأل هذه الأسئلة الثلاثة، وذكر أن هذه الأسئلة لا يمكن أن يعلمها إلا نبي، فلما أجابه النبي ﷺ بالوحي وبما يعلمه هو من كتب أهل الكتاب آمن مباشرة بالنبي ﷺ.

- ومما يدل أيضا: قصة هرقل عظيم الروم مع أبي سفيان وهذا في الصحيحين: أمر هرقل رؤساءه لما سمع عن النبي ﷺ أن يبحثوا عن أحد من العرب يسأله عن هذا الذي بعث مكان أبو سفيان مشركاً تاجراً في الشام، وكانوا في زمن صلح حديبية، فجيء به إلى هرقل، وحوله علماؤه فأمر هرقل الترجمان أن يسأل أبا سفيان قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قال أبو سفيان: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ [أي ادعى النبوة أحد العرب قبله ﷺ]؟ قال: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قال أبو سفيان: لَا. قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قال أبو سفيان: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قال أبو سفيان: بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ [أي يرجع عن دينه رغبة وكراهية عنه]؟ قال أبو سفيان: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قال أبو سفيان: لَا. وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. [يقول أبي سفيان: لولا أن يعيب الناس علي الكذب لكذبت] قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. [لأن بينهم صلح الحديبية فلم يستطع أن يدخل

شيئا غير هذه الكلمة فلا يدري ما يفعل بهم] فقَالَ هرقل [بعد ذلك]: فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

- وهذا يدل على ما يعرفه هرقل من كتبهم في وصف هذا النبي، فإنه سأل عن هذه الأوصاف كلها التي كانت في نبينا ﷺ وهذا مما جاء في أخبار الأنبياء السابقين وتبشيرهم.
- **الشاهد من هذا:** أن هرقل إنما ذكر أوصاف ما كان يعرفه من كتبهم؛ لأنه قد جاء أنه قال: "ولو كنت عنده لآمنت به" حتى خاف بطارقته، فأغلقوا الأبواب وأخرجوهم خشية على ملكه.

ثانياً: الآيات والمعجزات التي وهبها الله عز وجل له ﷺ:

وهذه كثيرة يصعب أن تحصى، ولذلك قال بعض أهل العلم، ومنهم شيخ الإسلام: "إن الآيات تزيد على ألف آية مما يدل على نبوته ﷺ".

١- أشهر هذه الآيات والمعجزات هي الإسراء والمعراج.

- **الإسراء معناه:** إسراء النبي ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.
- **المعراج:** عروجه ﷺ مع جبريل من المسجد الأقصى إلى السماء.
- وهذا القصة وردت في الصحيحين. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي،

وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا [فهما ابنا خالة]، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ[أي نصف الحسن والجمال]، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانا عَلِيّا} [أي إدريس عليه السلام]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ [وهو محاذي للكعبة وإنه لو سقط من السماء لوقع على الكعبة]، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ [وهذا يدل على كثرة الملائكة]، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ [وهي الجرار فالقلة هو الجرة]، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ

ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ [أي يحكي تجربته مع بني إسرائيل، وأن الناس لا يطيقون مثل هذا العدد، وأنه عان من بني إسرائيل عدم الطاعة في مثل هذا]. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ.

- **والبراق**: دابة جاء بها جبريل إلى النبي ﷺ، وهي التي أُسرِي لها ﷺ –فوق الحمار دون البغل– أي: أكبر من الحمار وأصغر من البغل،
- (يضع حافره عند منتهى طرفه) أي: خطواته مد البصر، ولذلك أُسري النبي ﷺ في ليلة واحدة.
- (فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ) أي: الدائرة التي يربط بها الأنبياء دوابهم، يعني ربط النبي ﷺ عند بيت المقدس.
- وهذه في قصة الإسراء والمعراج وله ألفاظ بأطول، وفيه أن النبي لما رجع أخبر قريش فكذبوه، ولم يصدقوه فذهبوا إلى صاحبه أبي بكر، وقالوا: إن صاحبك يقول كذا وكذا، وأنه سافر بيت المقدس في ليلة واحدة، ثم عُرج إلى السماء، فقال: "أو قد قال؟" قالوا: نعم، فقال: "صدقت" فسمّي بالصديق رضي الله عنه.
- وفيه أن قريشاً استنكروا هذا الأمر فأمروا النبي ﷺ، أن ينعت لهم بيت المقدس فأوصى الله عز وجل إليه بصورة بيت المقدس –لأنه في الليل فكيف يرى– فنعته ووصفه لهم.

- وجاء أن إبلاً قد ضاعت لقافلة قريش فرده النبي ﷺ في الطريق ولما جاءوا سألهم الخبر، فذكروا ذلك؛ لأنه قد ضاعت ثم رجعت إليهم.
- وهذا كله يدل على نبوته وصدقه، وأن ما جاء من هذه المعجزات والآيات التي تخالف العادات؛ أنها من خوارق الأشياء والعادات، وهي من أعظم دلائل نبوته.
- وفيه فرض الصلوات الخمس في السماء لأهميتها.
- وفيها ما يلقاها ﷺ من الأنبياء، وأنه صلى بهم في بيت المقدس.
  - س: قد يقول قائل كيف وقع هذا؟ وبين هؤلاء الأنبياء تفاوت السنين؟ فكيف اجتمعوا في بيت المقدس وصلى بهم النبي ﷺ إماما؟

ج: أن هذه من الأمور الغيبية التي يجب علينا الإيمان بها، وإن لم تبلغه العقول، سواءً قال بعض العلماء: اجتماع الأرواح أو غيرها، فهذه لا يُسألُ عنها بكيف، بل لا سبيل لنا إلا الإيمان أنه من خبر النبي ﷺ، فالعقل لا يُدركه لقصره ولا يتصوره، وهذا من رحمة الله عز وجل أن جعل سبيلنا الإيمان بالغيب.

٢- انشقاق القمر.

- فإن قريشاً قد تحددت النبي ﷺ أن يجعل الله عز وجل آيةً، فجاء انشقاق القمر، قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}.
- وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشقَّ القمر على عهد رسولِ الله ﷺشقَّين، فقال النبيُّ ﷺ: ((اشهَدوا)) أي: على هذه الآية التي تطلبونه قد وقع كما طلبتم.

فقالوا: "سحرنا محمد" ولم يؤمنوا.

لكن لما جاءت قوافلهم فسألوهم عن ذلك اليوم، أخبروا أنهم رأوا القمر انشق نصفين، وهذا دليل على أنه آية، وليس سحر؛ لأن الساحر يفعل سحر التخييل للذي عنده ولا يستطيع أن يسحر الغائب.

- وهذه آية ومعجزة: قمرٌ معروف على حالة لا يتغير، فإذا هو انشق نصفين كما طلبوا.

٣- نبع الماء من بين أصابعه.

- جاء في الصحيحين عن أنس ﷺ قال: رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وحانتْ صلاةُ العصرِ والتَمَس النَّاسُ الوَضوءَ فلم يجِدوه فأُتِي رسول الله ﷺ بوَضوءٍ فوضَع رسولُ اللهِ ﷺ يدَه في ذلك الإناءِ [أي: أدخل ﷺ يده في الإناء] وأمَر النَّاسَ أنْ يتوضَّؤوا منه فرأَيْتُ الماءَ ينبُعُ مِن تحتِ أصابعِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فتوضَّأ النَّاسُ حتَّى توضَّؤوا مِن عندِ آخِرِهم)
- وأهل العلم اختلفوا في معنى "ينبع من تحت أصابعه":
  - السؤال: هل لما وضع يده على الأرض فنبع الماء من تحت الأرض من بين أصابعه؟ أو نبع الماء من بين اللحم والدم؟
  - الجواب: سواءً كان المعنى الأول أو الثاني فهو دليل على الآية والإعجاز.

٤- حنين الجذع إليه:

- أن الجذع قد صاح صياح الصبي، فنزل النبي ﷺ فضمه إلى صدره، قال جابر وفيه: (فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الذي يُسَكَّنُ. قالَ: كَانَتْ تَبْكِي علَى ما كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا)
- فهذه نخلة جامدة لا تتكلم في العادة، فإذا هي تبكي؛ لأن النبي ما صار يتكئ عليها حال الخطبة، وهذا من دلائل نبوته.

٥- انقياد الشجر وتحركه معه.

- وقد جاء هذا عند مسلم، عن جابر ﷺ قال: (سِرْنَا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ حتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَ ،ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بإِدَاوَةٍ مِن مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شيئًا يَسْتَتِرُ به، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بشَاطِئِ الوَادِي، [أي: كل واحدة في مكان] فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى إِحْدَاهُمَا، فأخَذَ بغُصْنٍ مِن أَغْصَانِهَا، فَقالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بإذْنِ اللهِ فَانْقَادَتْ معهُ كَالْبَعِيرِ المخْشُوشِ، الذي يُصَانِعُ قَائِدَهُ،[أي: البعير الذي له لحام ويسحبه قائده]حتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى، فأخَذَ بغُصْنٍ مِن أَغْصَانِهَا، فَقالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بإذْنِ اللهِ فَانْقَادَتْ معهُ كَذلكَ، حتَّى إذَا كانَ بالمنْصَفِ ممَّا بيْنَهُمَا، لأَمَ بيْنَهُمَا، يَعْنِي جَمعهُمَا، فَقالَ: التَئِما عَلَيَّ بإذْنِ اللهِ فَالْتَأَمَتَا، قالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ [أي: أجري] مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ، وَقالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبَّادٍ، فَيَتَبَعَّدَ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ،[أي: جلس مدة ثم التفت من غير شعور] فَإِذَا أَنَا برَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مُقْبِلًا، وإذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ منهما علَى سَاقٍ [أي: رجعت كما كانت].

- فهذا جماد ومع ذلك ينقاد ويتحرك معه ﷺ، ثم يلتئم ويصبح شجرة واحدة، ثم يرجعُ كما كان، وهذا كله من الآيات والبراهين الدالة على نبوته.

والأمثلة على الآيات والبراهين الدالة على نبوته كثيرة، ومنها:

١- تسليم الحجر عليه، كما جاء في الحديث: "إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ بمكة".

٢- تكثير الطعام ببركته ﷺ.

٣- تكثير الماء في مزادة المرأة المشركة، ثم قال ﷺ لها: "اعلمي أنّا ما أخذنا من مائك شيء" ثم كان هذا سببا في إسلامها وإسلام قومها، فإن الصحابة لم يكن يغزوهم.

ثالثا: القرآن الكريم:

فهو أعظم آية أوتيها النبي ﷺ والقرآن داخلة في الآيات لكنها أفردت لعظمتها.

- وهي أعظم آية كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما من الأنبياء من نبيٍّ، إلا وقد أُعطَى من الآيات ما مِثلُه آمنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ.

- بل هي أعظم آية أوتيها الأنبياء عليه السلام.

- وكل نبي أعطي آيات كثيرة وكذلك نبينا ﷺ لكن أعظمها القرآن.

- وكل نبي أعطي آية فيها تحدي لما كان معروفا في قومه:

فموسى عليه السلام أعطي العصا لما كان قومه معروفا بالسحر.

وعيسى عليه السلام {يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله} لما كان قومه معروفا بالطب.

ونبينا ﷺ بعث في قوم عرب أقحاح، لا يعرفون من الدنيا إلا الفصاحة والبلاغة التي كانت تميزهم عن غيرهم، فجاء نبينا بهذه الآية العظيمة التي وقع فيها التحدي.

وهذا يدل على نبوته في القرآن من أوجه:

١/ وقوع التحدي في الإتيان بمثله أو بعشر سور أو بسورة:

قال سبحانه: {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}.

وقال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}.

وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

فالله عز وجل تحداهم بالإتيان بمثل القرآن، ثم أنزلها عشر، ثم بسورة ومع ذلك عجز العرب الأقحاح.

- بل في آيات كثيرة من القرآن التي فيها حروف مقطعة كلها جاء بها التحدي.

ومع أن كلامهم مكون من هذه الحروف عجزوا أن يأتوا بمثلها.

- وكل شخص من العرب ادعى الإتيان بالقرآن يُسلب فصاحته كما حصل لمسيلمة الكذاب، فضحك عليه الصغار والأطفال.

– بل إن كفار قريش كالوليد بن مغيرة لما سمع هذا القرآن قال: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر" فلما سمعته قريش قالوا: سحرك محمد ثم قال المقالة المشهورة عنه فنزل قول الله: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ..} الآيات في سورة المدثر.

٢/ إعجازه بالفصاحة والبيان:

كقول الوليد بن المغيرة (ذكر بالأعلى).

٣/ إعجازه في الإخبار عن المغيبات وعن الأمور المستقبلية التي قد وقعت على ما أخبر به القرآن.

إخباره عن المغيبات:

قال تعالى: {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين}.

ومثل أصحاب الكهف وغيره.

فجاء القرآن بها، وهؤلاء كانوا يعادون النبي ﷺ ولو كانت تخالف ما عرفه من كتبهم لأنكروا، ومع ذلك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

إخباره عن أمور قد حصل في المستقبل:

مثل: نصر الروم بعد هزيمتهم، قال تعالى: {الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}.

وكذلك قصة جعفر ﷺ مع النجاشي في قصة مريم عليها السلام لما قرأ عليه سورة مريم، فبكى النجاشي وبكى بطارقته لما يعرفون الحق في كتبهم.

٤/ إعجاز القرآن بالتشريع والأحكام:

فالأحكام التي جاء بها القرآن هي صالحة لكل زمان ومكان، والواقع خير شاهد، فجاء القرآن بالحدود، فالناس اليوم يطبقونها وفيها من المنافع والمصالح ما لا يوزنه أي قانون من وضع البشر.

بل من زعم أن حكم غير الله يساوي حكم الله، أو أنه أفضل من حكم الله فهو كافر باتفاق المسلمين.

رابعا: الغيوب التي أخبر عنها وتحققت حال حياته أو بعد وفاته:

وقد جاء ما يدل على أن النبي ﷺ أخبر أصحابه بأمور كثيرة من هذه الغيوب كما في الصحيحين من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علِمه من علمه وجهله من جهله.

١/ من الغيوب التي أخبرها به ووقعت كما أخبر:

- إخباره ﷺ بالريح الشديد في غزوة تبوك فقال ﷺ: ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ.

- إخباره ﷺ بخبر كتاب حاطب لما أرسل الكتاب إلى قريش وأخبرهم أنه مع امرأة، وأخبرهم بمكانه، فقد جاء في الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة.

٢/ ومن الغيوب التي أخبرها وتحققت بعد وفاته ﷺ:

– خبر أويس القرني وهو من التابعين وقد أخبر النبي ﷺ عنه كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قد قال: إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم.

– خبر النار التي تخرج من الحجاز، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى.

وبُصرى: مدينة بالشام

وذكر النووي رحمه الله أنه وقع في زمانه.

ولعل المقصود بالنار البراكين.

– إخباره بالدجالين الذين يدّعون النبوة، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله.

وقد وقع هذا في آخر زمنه ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب، وخرج الأسود العنسي، وخرج أيضا المختار الثقفي، وغيرهم كثيرون.

وقوله ﷺ قريب من ثلاثين: بينه العلماء وقالوا: أنه يقصد به من خرج وله قوة وشوكة فهؤلاء نحو من الثلاثين.

خامسا: سيرته وأخلاقه وأحواله الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام.

فإن النبي ﷺ قد أوتي كمال الخَلق في الشكل وكمال الخُلق في الأحوال، فقد خلقه الله عز وجل على أحسن تقويم، واجتماع هذه الأمور في شخص واحد من دلائل النبوة؛ لأنه لا

يمكن أن تجتمع إلا أن يكون نبيا مرسلا، ولذلك يستدل العلماء بكمال خَلقه وكمال خُلقه على نبوته.

وبهذا الدليل استدل خديجة رضي الله عنها على نبوته فقالت: كلا أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبدا، والله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

خصائص النبوة ﷺ

❖ ما اختص به ﷺ عن سائر الأنبياء:

أولا: اختص بعموم رسالته:

فلقد بعث إلى الناس كافة، كما قال النبي ﷺ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً". رواه البخاري ومسلم.

ولذلك قال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان حقا على الله أن يدخله النار".

ثانيا: أنه سيد ولد آدم وأفضلهم:

وقد جاء في البخاري أن النبي ﷺ قال: "أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ".

هل في الحديث دليل على إطلاق "سيدنا" على رسول الله؟

أما بالمعنى اللغوي والشرعي فصحيح، ولا شك أنه سيدنا عليه الصلاة والسلام.

وأما إدخالها في الصلاة عند الصلاة الإبراهيمية في التحيات نص العلماء على أنه بدعة، لأن الصلاة توقيفية، وهذه الزيادة لم يرد فيه.

وقوله ﷺ "سيد ولد آدم" فيه معنى زائد عن معنى السيد وهو أنه أفضلهم، وهذه اللفظة لا يمكن أن يشترك فيه أحد معه ﷺ، بخلاف لفظة السيد فقط فيشترك فيه كثيرون مثل: سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، وسيدنا عمر رضي الله عنه.

فيجوز اطلاقه خارج الصلاة على النبي ﷺ لفظة السيد، لكنه ليس معنى فاضل أو زائد يدل على تشريف النبي ﷺ، بخلاف أنه رسول الله أو نقول سيد ولد آدم أي فضائل زائدة شُرّف به النبي وورد فيها النصوص الشرعية.

ثالثا: أنه خاتم النبيين ﷺ:

كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "كانَتْ بَنُو إسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبِياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وإنَّه لا نَبِيَّ بَعْدِي".

وجاء في حديث الصحيحين: "فُضِّلْتُ علَى الأنْبِياءِ بسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ".

رابعا: أنه أُعطي المقام المحمود:

المقام المحمود: الشفاعة الكبرى للفصل بين الخلائق.

جاء في البخاري أن النبي ﷺ قال: "أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ".

وجاء أيضا في البخاري عن ابن عمر ﷺ يقول: "إنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَومَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يقولونَ: يا فُلَانُ اشْفَعْ، يا فُلَانُ اشْفَعْ، حتَّى تَنْتَهي الشَّفَاعَةُ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَذلكَ يَومَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ".

خامسا: أنه أُعطي الوسيلة:

الوسيلة: هو أعلى منزلة في الجنة.

كما جاء حديث عبد بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إذا سَمِعْتُمُ المؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ".

وكذلك في الحديث بيان على عظم أجر الترديد مع المؤذن، وأنه يترتب عليه أجر عظيم ويحل له به الشفاعة.

سادسا: أنه أُعطي جوامع الكلم:

جوامع الكلم: أن النبي ﷺ كان يتكلم باللفظ القليل الموجز الكثير المعنى.

وجاء في حديث الصحيحين: "فُضِّلْتُ علَى الأنْبياءِ بسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بيَ النَّبِيُّونَ".

سابعا: أنه أكثرهم تبعا يوم القيامة:

فقد جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: "ما مِنَ الأنْبياءِ مِن نَبِيٍّ إلَّا قدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وحْيًا أوْحَى اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ".

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته أكثر أهل الجنة، وكونه ﷺ أكثر الناس تبعا هذا فيه عظم أجره، ورفع لدرجاته.

ثامنا: أنه نُصر بالرعب:

كما قال النبي ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً". رواه البخاري ومسلم.

تاسعا: أنه أحلت له الغنائم:

الحديث السابق.

فإن الأمم السابقة كانوا يجمعون هذه الغنيمة فإن قبلها الله عز وجل نزلت عليها النار، فأكلتها وأحرقتها، لكن في هذه الأمة أحل الله لهم الغنائم والانتفاع بها.

عاشرا: أنه جعلت له الأرض مسجدا وطهورا:

فإن الأمم السابقة كانوا لا يتعبدون إلا في بيعهم وصوامعهم وكنائسهم، هذه الأغلال رفعهم الله عز وجل عن هذه الأمة، فأباح لنبيه وأمته أن يصلوا حيث أدركتهم الصلاة، فإن الله جعل لهم الأرض مسجدا وطهورا.

وهذا جاء في الحديث السابق: "... وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ..." الحديث.

وهذه الخصائص العشر فيها شيء يشاركه النبي ﷺ أمته مثل: أحلت له الغنائم، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، ونصر بالرعب على تفسير بعض العلماء (وهذا الأصل فيه أنه خاص له وأمته تبعا له).

❖ **ما اختص به ﷺ عن سائر أمته:**

أولا: اختص بالوصال في الصوم:

قد جاءت عن عائشة ﵂ أنها قالت: "نَهَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الوِصَالِ رَحْمَةً لهمْ، فَقالوا: إنَّكَ تُوَاصِلُ، قالَ: إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي ويَسْقِينِ".

وهذا فيه أنه خاص به ﷺ، فأبيح له دون أمته لذا حرم بعض العلماء الوصال في الصوم، وبعضهم ذكروا الجواز مع الكراهة.

ثانيا: الزواج من غير ولي ولا شهود:

كما جاء في البخاري: عن أنس ﵁ قال: نزلَت هذهِ الآيةُ في زينبَ بنتِ جحشٍ {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} قالَ: فَكانت تفخَرُ علَى أزواجِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ تقولُ: زوجُكُنَّ أهْلوكُنَّ وزوَّجَنيَ اللَّهُ من فوقِ سبعِ سماواتٍ.

ثالثا: الجمع بين أكثر من أربع نسوة:

فقد جاء في حديث قيس بن الحارث أنه قال: أسلمْتُ وعندِي ثمانِ نسوةٍ فأتَيْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فذكرتُ ذلكَ لهُ فقالَ "اختَرْ منهنَّ أربعًا".

رابعا: أن أزواجه أمهات المؤمنين:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالفضائل.

ومعناه: أنه يحرم على أحد أن يتزوجهن، وليس معناه المحرمية، ولذلك أول ما نزل أحكام الحجاب نزل على أمهات المؤمنين.

قد جاء في كتاب الله: {ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا}.

وأيضا جاء عند البيهقي في الكبرى: عن عائشة ﵂ أن امرأة قالت لها: يا أمّه، فقالت: "أنا أم رجالكم لَسْتُ بأمك".

خامسا: أنه ﷺ أبيح له القتال في مكة ساعة من النهار:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالمباحات.

فإن النبي ﷺ قال: " إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، ولَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بهَا دَمًا، ولَا يَعْضِدَ بهَا شَجَرَةً، فإنْ أحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِيهَا، فَقُولوا: إنَّ اللَّهَ قدْ أذِنَ لِرَسولِهِ ولَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وإنَّما أذِنَ لي فِيهَا سَاعَةً مِن نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليومَ كَحُرْمَتِهَا بالأمْسِ".

سادسا: صلاة ركعتين بعد العصر:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالمباحات.

وقد جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَنْهَى عَنْهَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِما حِينَ صَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وعِندِي نِسْوَةٌ مِن بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأنْصَارِ، فأرْسَلْتُ إلَيْهِ الجَارِيَةَ، فَقُلتُ: قُومِي بجَنْبِهِ فَقُولِي له: تَقُولُ لكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يا رَسولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عن هَاتَيْنِ، وأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا، فإنْ أشَارَ بيَدِهِ، فَاسْتَأْخِرِي عنْه، فَفَعَلَتِ الجَارِيَةُ، فأشَارَ بيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ عنْه، فَلَمَّا انْصَرَفَ قالَ: يا بنْتَ أبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العَصْرِ، وإنَّه أتَانِي نَاسٌ مِن عبدِ القَيْسِ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُما هَاتَانِ.

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ وكُنْتُ أضْرِبُ النَّاسَ مع عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ عَنْهَا.

وهذا يدل على أنه من خصائصه ولذلك ذكر النووي أن أكثر العلماء قالوا أن هاتين الركعتين بعد العصر من خصائصه، فقول أنه سنة فيه بُعد.

سابعا: من استهان به أو سبه فهو كافر:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالفضائل.

فقد جاء أنَّ أعمى كانتْ له أمُّ ولدٍ تشتمُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وتقعُ فيه فينهاها فلا تَنتهي ويزجرُها فلا تنزجرُ. قال: فلمَّا كانتْ ذاتَ ليلةٍ، جعلَتْ تقعُ في النبيِّ صَلَّى اللَّهُ

عليْهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وتشتمُهُ أخذَ المِغولَ فوضعَهُ في بطنِها واتكأَ عليْها فقتلَها، فوقعَ بين رجليْها طفلٌ فلطخَتْ ما هناكَ بالدمِ. فلمَّا أصبحَ ذُكرَ ذلكَ لرسولِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ – فجمعَ الناسَ فقال أنشدُ اللهَ رجلًا فعلَ ما فعلَ، لي عليهِ حقٌّ، إلا قام. فقامَ الأعمى يَتخطى الناسَ، وهو يتزلزلُ حتى قعدَ بينَ يديِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ! أنا صاحبُها، كانَتْ تشتمُكَ وتقعُ فيكَ فأنَّاها فلا تَنتهي، وأزجرُها فلا تنزجرُ، ولي منها ابنانِ مثلَ اللؤلؤتينِ، وكانَتْ بي رفيقةً، فلمَّا كانتِ البارحةَ جعلَتْ تشتمُكَ وتقعُ فيكَ، فأخذْتُ المِغولَ فوضعْتُهُ في بطنِها واتكأتُ عليْها حتى قتلتُها، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ: ألا اشهَدوا: أنَّ دمَها هَدَرٌ.

ثامنا: أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالفضائل.

كما قال النبي ﷺ: "إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليسَ كَكَذِبٍ علَى أَحَدٍ، مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار".

وقال أيضا: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

حتى أن العلماء اختلفوا في كفر الكاذب على رسول الله ﷺ، هل يكفر أم لا!

تاسعا: أن أجر تطوعه قاعدا كأجر تطوعه قائما:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالفضائل.

قد جاء عن عبد الله بن عمرو، قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال: "حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: صَلاةُ الرَّجُلِ قاعِدًا نِصْفُ الصَّلاةِ، قالَ: فأَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جالِسًا، فَوَضَعْتُ يَدِي علَى رَأْسِهِ، فقالَ: ما لَكَ يا عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو؟ قُلْتُ: حُدِّثْتُ –يا رَسولَ اللهِ– أنَّكَ قُلْتَ: صَلاةُ الرَّجُلِ قاعِدًا علَى نِصْفِ الصَّلاةِ، وأَنْتَ تُصَلِّي قاعِدًا، قالَ: أجَلْ، ولَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنكُمْ".

عاشرا: أنه لا يُورَث:

وهذا من خصائصه المتعلقة بالمباحات.

تقول عائشة ﵂ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا، مِمَّا تَرَكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عليه، فَقالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ: لا نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ.

ولو قسمنا هذه العشر على التقسيم الرباعي نقول:

في الفضائل:

أن أزواجه أمهات المؤمنين – أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره – من استهان به أو سبه فهو كافر.

في الواجبات:

وجوب قيام الليل عليه ﷺ.

في المباحات:

أنه لا يُورَث – صلاة ركعتين بعد العصر تطوعا – أبيح له القتال في مكة ساعة من النهار – الوصال في الصوم.

في المحرمات:

الزكاة والصدقة.

حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته

١) وجوب الإيمان به ونبوته ورسالته:

كما جاء في الصحيح: "والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ".

وقد بعثه الله إلى الناس كافة جِنَهم وإنسهم، وهذا من خصائصه.

٢) طاعته ولزوم سنته:

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أبَى".

وكما جاء أيضا في حديث أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: "إنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أتَى قَوْمًا فَقالَ: يا قَوْمِ، إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وإنِّي أنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فأطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِن قَوْمِهِ، فأدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا علَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ منهمْ، فأصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذلكَ مَثَلُ مَن أطَاعَنِي فَاتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَن عَصَانِي وَكَذَّبَ بِما جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ".

والنجاة هنا تكون بطاعته وتصديقه فيما جاء به.

والقرآن مليء بآيات طاعة الرسول ﷺ حتى ذكر الإمام احمد ٣٣ موضعا

٣) وجوب محبته وتقديمها على محبة كل أحد:

كما ذكر في الصحيحين، قال النبي ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ".

فمحبته مقدم على الولد [الفرع]، والوالد [الأصل]، والناس أجمعين.

والذي يلزم المحبة الاتباع، ولذلك قال الله عز وجل: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} وهذه الآية تسمى آية الامتحان.

٤) توقيره وتعظيمه وتعزيره:

والتعزير يأتي بمعنى التوقير والتعظيم والنصر والتأييد، كما قال الله عز وجل: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ}.

ومن توقيره أن يطاع ﷺ، وأن يقدم قوله على قول كل أحد، وألا تعارض سنته بأي نوع من أنواع المعارضة سواء كانت عقلية أو ذوقية ناتجة عن هوى.

ومن توقيره خفض الجناح له وعدم رفع الصوت في مجلسه.

كما جاء في حديث عروة بن مسعود رضي الله عنه: أنه جعَل يرمُقُ صحابةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعينِه فواللهِ ما يتنخَّمُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نُخامةً إلَّا وقَعتْ في كفِّ رجُلٍ منهم فدلَك بها وجهَه وجِلدَه وإذا أمَرهم انقادوا لأمرِه وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وَضوئِه وإذا تكلَّم خفَضوا أصواتَهم عندَه وما يُحِدُّون إليه النَّظرَ تعظيمًا له فرجَع عروةُ بنُ مسعودٍ إلى أصحابِه فقال: أيْ قومِ واللهِ لقد وفَدْتُ إلى الملوكِ ووفَدْتُ إلى كسرى وقيصرَ والنَّجاشيِّ واللهِ ما رأَيْتُ ملِكًا قطُّ يُعظِّمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ محمَّدًا ووالله إنْ يتنخَّمُ نُخامةً إلَّا وقَعت في كفِّ رجُلٍ منهم فدلَك بها وجهَه وجِلْدَه وإذا أمَرهم ابتدَروا أمرَه وإذا توضَّأ اقتتلوا على وَضوئِه وإذا تكلَّم خفَضوا أصواتَهم عندَه وما يُحِدُّون إليه النَّظرَ تعظيمًا له

٥) كثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم:

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي".

وجاء في الحث عليها حديث الآذان المشهور، حديث عبد الله بن عمرو، أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إذا سَمِعْتُمُ المؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عليه بها عَشْرًا".

والأحاديث في فضل الصلاة والسلام عليه كثيرة.

حكم التأسي بالنبي ﷺ

الأصل هو وجوب التأسي به، كما قال الله عز وجل: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} وهذه الآية كما يقول ابن كثير رحمه الله: (أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله).-

كما قال تعالى: {واتبعوه لعلكم تهتدون} ولا خلاف بين العلماء في وجوب التأسي وإيماننا بأنه نبي يجب أن نتأسى به.

وهذا من ناحية الحكم الإجمالي العام.

والتأسي يختلف في الأمور التفصيلية بين واجب ومندوب:

وضابط التأسي به ضابطان:

١. الموافقة في الفعل الظاهر.

٢. الموافقة في النية والقصد.

وجاء في عبارة شيخ الإسلام أنه كان يقول: (أن تفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعل).

ففي التأسي لا يكتفى بالموافقة في الفعل فقط لكن لا بد فيه من النية والقصد.

أما أفعاله تختلف باختلاف الأحوال، وأهل الأصول ذكروا له أقساما كثيرة.

ويمكن أن نجعلها على أربعة أقسام:

١) ما فعله على وجه الجبلة والعادة:

الجبلة كالأكل والشرب والنَوم، وهذا كل الناس يفعلونه لأنها جبلية وطبعية، والعادة كالألبسة، وإطالة الشعر، واتخاذ العصى والخاتم، وهذا في الأصل أنها من باب المباحات فلا يقال أنها سنة.

وهذا الأمر في أصله، لكن إن ارتبطت هذه الأشياء بوصف أو هيئة أو حال انتقلت من الجبلة والعادة إلى العبادة، مثل: ما ورد الاضطجاع على الشق الأيمن في صفة النوم، والأكل باليمين، وما ورد النهي في الاتكاء أثناء الأكل.

٢) مافعله على وجه الخصوصية:

كالزواج بأكثر من أربعة، والوصال في الصوم، وهي خاصة بالنبي ﷺ لا يجوز مشاركة غيره فيها.

٣) ما فعله على وجه البيان أو تقييدا لإطلاق:

كأفعاله في الحج والصلاة، وحكمه حكم أصله، فالأمور الواجبة واجبة، والمستحبة مستحبة وهكذا.

٤) الأفعال (المطلقة) المرسلة:

وهي التي لم يتعلق بشيء من الأمور السابقة.

وحكم هذا الفعل يرجع فيه إلى ما كان قصد القربة فيه ظاهرا فهو **مستحب**، وإذا كان قصد العادة ظاهرا فيه كان فعله **مباحا**، فيرجعونه إلى أصله، فهو متردد بين أن يكون قربة أو عادة.

مثل: الاعتكاف، قال فيه جماهير العلماء أنه مستحب.

ومثل: نزوله ﷺ في المحصب.

الأصوليون أكثرهم قالوا: إن الأمر إذا تردد بين أن يكون عادة وأن يكون عبادة فيغلب جانب العبادة.

ما هي الطرق التي يُعرف بها أن النبي ﷺ فعلها في زمانه للعادات أو للعبادات؟

النظر في الأدلة ومعرفة السبب، فإن تبين بالسياق أن وجه القربة فيه ظاهر يُحمل على السنية، وإن كان وجه العادة ظاهرا يُحمل على المباح.

هل يؤجر شخص إذا أطال شعره مثلا اتباعا بالنبي ﷺ؟

هنا يجب أن نعمل ضابط التأسي السابقة، فالنبي ﷺ فعله من وجه العادة، وهنا فُعل من وجه القربة والعبادة، فلا يؤجر.

لكن يقول أهل العلم يمكن أن يؤجر هذا الشخص إذا علم الله أن في قلبه محبة خالصة للنبي ﷺ، فلا يؤجر على التأسي، وإنما على محبة النبي ﷺ، وهذا أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما مسألة.

آثار النبي ﷺ هل يشرع التبرك بها أم لا؟

أهل السنة والجماعة متفقون على جواز التبرك بجسده الشريف وما انفصل منه مما لامس جسده كالشعر، وفضلة الوضوء، والنخامة، والبصاق فقد كان يفعله الصحابة وأقره النبي ﷺ.

ولكن هل يوجد شيء من آثاره من الشعر مثلا والعمامة والمغفر فيصح التبرك به؟

لا تصح شرعا وتاريخيا وكذلك تطبيقيا فعلماء الآثار نفوا ذلك تماما.

فكل من أدرك شيئا من آثاره من الصحابة والتابعين فإنهم كانوا يوصون بأن تدفن معه الأثر، وبهذا اندثرت، ذكره الذهبي رحمه الله.

وأما الدراسات الحديثة فعلماء الآثار يجزمون أن ما وُجد اليوم من شعر ونحوه فلا يثبت نسبتها إلى زمن النبي ﷺ!!

– والتبرك بالأماكن المكانية فهذا أيضا غير مشروع ولم يكن يفعله غالب أصحاب النبي ﷺ، وإنما كانوا يتبركون بالأمور المشروعة كشد الرحل إلى المسجد الحرام، والصلاة في مسجده، والصلاة في مسجد قباء وغيرها من الأمور التي المشروعة.

– أما الغير المشروعة كالشجرة التي بايع النبي ﷺ تحتها في بيعة الرضوان، ومثل المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ، والأماكن التي نزلها في الطريق فلم يكن أحد من أصحاب النبي يتقصدها ويتبرك بها.

– وفعل ابن عمر رضي الله عنه يقول أهل العلم الجواب عنه من وجوه:

١) أن فعله مخالف لفعل باقي أصحاب النبي ﷺ، ومن ذلك ما جاء عن أبيه عمر رضي الله عنه أنه قطع الشجر.

٢) أن ابن عمر رضي الله عنه ما كان يشد الرحل في هذه الأماكن، وإنما إذا مر به في طريقه يتقصده.

٣) أن ابن عمر رضي الله عنه لم يكن يتبرك بهذه الأماكن، ولم ينقل عنه ولا عن تلاميذه، وإنما كان يتقصدها لشدة محبته للنبي ﷺ.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين